الإثنوغرافيا وآلية تشكيل المجتمعات الافتراضية على مواقع التواصل الاجتماعي

دراسة ميدانية

محمد أحمد عبد الله فكري علي مكاوي*

إشراف / أ.د/ فؤادة عبد المنعم البكري**

د / هدى إبراهيم الدسوقي***

المبحث الأول

الإثنوغرافيا الرقمية

تمهيد:

برزت الحاجة لظهور دراسات جمهور وسائل الإعلام الجماهيرية في العقد الثالث من القرن الماضي استجابةً لحركة المنافسة والتسابق الشديدين بين المؤسسات الإقتصادية والسياسية في الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً واوروبا للهيمنة والتوسع, وفي سياق اجتماعي يعتقد بالتأثير المباشر والمبالغ فيه لوسائل الإعلام علي سلوك الجمهور وتوجيهه وفق مصالح من يتحكم في إدارتها عن طريق انجاز مراكز بحث متخصصة لبحوث تستهدف معرفة حجم هذا الجمهور, سماته الاجتماعية والنفسية. تستغل نتائجها لتكييف رسائلها مع الأهداف التجارية والدعائية لمالكي وسائل الإعلام والمعلنين ورجال السياسة.

وإذا كان التوجه الأمبريقي الامريكي في بحوث الإتصال الجماهيري تتميز بالكمية وتهميش دور الجمهور, فإن التوجهات الحديثة في بحوث الجمهور ابتداءاً من ثمانينات القرن الماضي اهتمت بدراسة دور المتلقي الفاعل في العملية الإتصالية ومختلف التأويلات التي ينتجها الخطاب الإعلامي, ومن أشهر الباحثين في ميدان الإتصال الذين قاموا بتوظيفه نذكر بعض أعمال "دافيد مورلي" الذي تبني التوجه الإثنوجرافي بعد ما كان يوظف في ميدان الدراسات الإجتماعية, حيث ركزت علي دراسة التعرض لمواقع التواصل الإجتماعي داخل العائلة الواحدة كوحدة أساسية للدراسة والتحليل, ومع تعدد التكنولوجيات المنزلية في الفضاء الإتصالي الجديد, أدي إلي الإهتمام بدراسة السلوك الإتصالي للجمهور والتفاعلات الممكنة مع الرسائل

* باحث بقسم الإعلام بكلية الآداب – جامعة المنصورة

** أستاذ العلاقات العامة بكلية الآداب – جامعة حلوان

*** مدرس العلاقات العامة بكلية الآداب – جامعة المنصورة

الإعلامية التي يتلقاها باستخدام المقاربة الإثنوغرافية. التي من شأنها أن تساعد علي فهم ظاهرة التلقي المعقدة, والإهتمام بطريقة إدماج هذه التكنولوجيات في الفضاء الأسري اليومي, والكيفية التي تعمل بها كل عائلة في التعرض للفضاءات الإجتماعية والتكنولوجية التي منها مواقع التواصل الإجتماعي.

أولاً : مدخل إلي مفهوم الإثنوغرافيا وسياقات ظهورها:

هي من حيث الأصل اللغوي كلمة يونانية مركبة من لفظ "اثنوس" أي الأقلية, ولفظ "كرافوس" أي الوصف والتصوير ليصبح معني الإثنوغرافيا هو الدراسة الوصفية للمجتمع, فالبحث الإثنوغرافي يسعي إلي جمع البيانات والمعلومات رصداً في المنطقة التي تعنيه وفي عين المكان بالمشاركة والملاحظة, وتزعم الإثنوغرافيا بعد جمع المعلومات الوصول إلي تصنيف وتقديم للواقع كما هو, كما لو لوحظ في عين المكان بواسطة عاداته وتقاليده وأعرافه, ولا يقف في الرصد والتسجيل عند حد الأنشطة المادية للمجتمع أو المجتمعات التي يدرسها, وإنما يتجاوزها إلي شعائرها الروحية وقيمها المعنوية في زمان ومكان معينين. [1] كما يري Stephan beaud و Florence weber يعتمد علي وصف الأماكن, الأحداث, الأشخاص والأشياء. [2]

ويرتكز البحث الإثنوجرافي علي الدقة وملاحظة التفاصيل الصغيرة, والتأريخ له, ويتفق اغلب الباحثين علي أن هناك علاقة معرفية تكاملية وعضوية بين الإنثروبولوجيا والإثنولوجيا والإثنوغرافيا, يصعب فصل الواحدة عن الأخري أحياناً حيث أنها لا تشكل ثلاثة علوم مختلفة, بل ثلاثة مراحل متتابعة وبشكل أدق ثلاثة تصورات مختلفة لبحث واحد. [3]

هذا من جهة, ومن جهة أخري فالمعارف الثلاثة تؤدي إلي بعضها البعض في كثير من الدراسات الإثنوغرافية وتنمو اثنولوجياً لتصل إلي ذروة المسألة الإنثروبولوجية. **فالإثنوغرافيا** او علم دراسة الأعراق وهو فرع من فروع الانثروبولوجيا مجاله الدراسة الوصفية لطرائق وأساليب الحياة لعرق من الأعراق أو مجتمع أو شعب ما وخلال الفترات الإستعمارية كان هذا العلم مهتماً بالشعوب الواقعة تحت الإحتلال التي يضعها في خانة البدائية ويبحث في فلكلورها وفي تناقضاتها ونزاعتها الحربية والطائفية والقبلية وقضايا مثل الثأر والتنابز بأسماء أو عبارات قدحية مهينة.

وعليه نستخلص إلي أن الاثنوغرافيا هي مقترب يركز علي فهم السلوك في سياق اجتماعي عبر مشاركة الباحث في المجال المدروس مشاركة فاعلة ضمن الفريق موضوع الدراسة, كما يوفر تقريراًوصفياً معتمداً علي أدوات بحثية مميزة من مقابلات ودية غير رسمية إلي الملاحظة بالمشاركة. [4]

ومن خلال ماسبق **تعرف الاثنوغرافيا** علي أنها الدراسة التحليلية للمجموعات الإثنية "العرقية" المعاصرة. دراسة تلك المجموعات المادية والإجتماعية واللغوية وهي كذلك ملاحظة وتسجيل المادة الثقافية من الميدان ووصف النشاط الثقافي كما يبدو,

والدراسة الوصفية لأسلوب حياة وجموعة تقاليد كما تبرز من خلالها العادات وأصناف التراث الخاصة بالإثنيات, أي تلك التجمعات الإنسانية التي تمتاز ببنية عائلية واقتصادية واجتماعية متجانسة حيث تقوم الوحدة علي لغة وثقافة مشتركة.(5)

ثانياً : تعريف الاثنوغرافيا الإفتراضية:

وتعرف باثنوغرافيا السيبر Cyber Ethnography , بالاثنوغرافيا الافتراضية وفي بعض الأحيان اثنوغرافيا علي الخط Online Ethnography, وتشير إلي عدد من طرق البحث علي الانترنت ذات الصلة والتي تعتمد علي أساليب البحث الإثنوغرافي لدراسة المجتمعات والثقافات التي تم إنشاؤها من خلال التفاعل الاجتماعي عن طريق الحواسيب, كما تعتبر المناهج الوصفية الإفتراضية أحد الوسائل المنهجية لدراسة الشبكات الاجتماعية ومن أبرز الطرق التي تستخدم فيها هي دراسة الحالة الإفتراضية او دراسة الاثنوغرافيا الإفتراضية, إذ تعد كوسيلة مفيدة في تحليل الشبكات ودراسة التجمعات في السياقات الإفتراضية وتستخدم الاثنوغرافيا الإفتراضية داخل أوساط المجتمعات المتشكلة عبر شبكة الإنترنت, وتستهدف وحدة التحليل فيها الافراد أو الجماعات. وتتم جميع المقابلات والاستجابات من خلال وسيط وهو الإنترنت عبر أحد المواقع الشبكية لجمع المعلومات عن الفرد أو الجماعة.(6)

كما تستهدف الوصول إلي بيانات كيفية يمكن من خلالها تقديم وصف للجماعات والعقد الشبكية.

ومن ضمن أدوات الاثنوغرافيا الافتراضية الملاحظة التي تتم في سياقات دراسة المجموعات غبر الانترنت وتنقسم الملاحظة إلي الملاحظة بالمشاركة ومن الدراسات التي استخدمت الأداة دراسة **درنتيا و كروس** Cross & Drentea سنة2005. (7)

حيث تمت دراسة جماعة للأمهات عبر الفضاء المعلوماتي والتي كانت تقدم النصائح إلي الأمهات عبر مراحل الحمل والولادة وكان **كروس** أحد المشاركين في المجموعة واستخدم تقنية الملاحظة بالمشاركة, كما تجدر الإشارة هنا إلي وجود ملاحظات بغير مشاركة تستخدم في بحوث الجماعات عبر الإنترنت.

ثالثاً : مفهوم المنهج الإثنوغرافي:

لقد تحول العديد من الباحثين الضالعين في مجال المناهج الكمية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بعدما قنطوا سنوات طويلة في تدريس وممارسة البحث الكمي إلي المناهج الكيفية وبصفة خاصة الإثنوغرافية, لقناعاتهم أنها الانسب لتحقيق ما عجزت عنه البحوث الكمية, إلا أننا لم نلاحظ تطبيقات ملموسة وقد تكون منعدمة في الدول العربية عامة علي الرغم من أهميتها العلمية, فالإثنوغرافيا في الدول العربية ما زالت تعاني عدم إثبات هويتها بوصفها منهجاً بحثياً من مناهج البحث في علوم الإعلام والإتصال وبأحقيتها بالتطبيق, ويعد تدريسها في الجامعات محدود, ويرجع ذلك إلي

ضعف الإهتمام به بوصفه أحد المناهج البحثية سواء من ناحية عرضه نظرياً أو تطبيقه ميدانياً.[8]

ولتعريف المنهج الإثنوغرافي نعرج أولاً بتعريف **المنهج العلمي:** فالمنهج هو الطريق المؤدي إلي الكشف عن الحقيقة في العقل وتحديد عملياته حتي يصل إلي درجة ونتيجة مقبولة ومعلومة. [9]

وهو مجموعة من الأسس والقواعد المنهجية التي يستعين بها الباحث في تنظيم النشاط الإنساني الذي يقوم به من أجل التقصي عن الحقائق العلمية أو الفحص الدقيق لها. [10]

وهو أسلوب يسير علي نهجه الباحث لكي يحقق الهدف من بحثه كأن يجد إجابة مناسبة للسؤال الذي يطرحه, أو يستطيع التحقق من الفرض الذي يبدأ به بحثه وفي قول أخر يحدد المنهج بأنه عبارة عن مجموعة من الأسس والقواعد والخطوات التي يستعين بها الباحث في تنظيم النشاط الإنساني الذي يقوم به من أجل التقصي عن الحقائق العلمية أو الفحص الدقيق لها. [11]

فهو إذن الطريقة أو الإسلوب الذي يتبعه الباحث لدراسة ظاهرة أو مشكلة بحثية للكشف عن الحقائق العلمية من خلال عمليات عقلية تسمح بالوصول إلي نتائج تسهم في الإجابة علي تساؤلات البحث أو التحقق من الفروض المقترحة, مع مراعاة اتفاق المنهج المستخدم مع متطلبات الطريقة المنهجية المعتمدة ومع ظروف البحث وأهدافه, وتنقسم المناهج وفقاً لأنواع البحوث إلي مناهج كمية ومناهج كيفية (نوعية) تم تحديدها كما يأتي. [12]

المناهج الكمية: هي مناهج يعتمد عليها لدراسة حقائق اجتماعية موضوعية منفردة ومعزولة عن مشاعر ومعتقدات الأفراد, وتعتمد علي الأساليب الإحصائية في الغالب عند جمع وتحليل البيانات.

المناهج الكيفية: وهي المناهج التي يعتمد عليها عند دراسة حقائق وظواهر اجتماعية يتم بناؤها من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات المشاركة في البحث, ويتوجه الباحث عند اعتماده علي هذا النوع من المناهج إلي إختيار العينة المقصودة في جمع البيانات لتحقيق أهداف البحث علي الملاحظة بالمشاركة والمقابلات المعمقة, والوثائق والسجلات الأولية المرتبطة بالموضوع, ويكون دور الباحث فيها اجتماعياً متفاعلاً من خلال معايشته لمجتمع المبحوثين, لكنه يحاول الإبتعاد عن التحيز قدر المستطاع في جمع البيانات وتفسيرها مع عدم إمكانية تعميم النتائج, وتمكن الأدوات الكيفية من اكتشاف الواقع بشكل معمق وشامل, لأنه يسمح للباحث من التقرب إلي الفاعلين فيه لفهم ذواتهم ونقل خبرات المعايشة , والتفاعل مع الظاهرة المدروسة والغوص في تفاصيلها من خلال ربطها بسياقها الذي تتواجد فيه. [13]

أما أبو علام فتري أن كلمة الإثنوغرافيا تستخدم لتشير إلي العمل المتعلق بدراسة الثقافة وكذلك نتيجة البحث النهائية, ولقد انتقلت الإثنوغرافيا من الإنثروبولوجيا إلي فروع المعرفة الأخري, بما في ذلك الإتصال, حيث أضافت منظوراً بحثياً جديداً يؤكد علي الطريقة الكلية في جمع ومراجعة البيانات الإستقرائية في تحليل البيانات. (14)

فكلمة إثنوغرافيا تم استخدامها من قبل الباحثين الانثروبولوجيين, علي أنها طريقة للتعرف علي الثقافات الأخري, وبالخصوص الثقافات البدائية وعليه يمكن القول أن الإثنوغرافيا استمدت أسسها من علم الإنثروبولوجيا.

والمعني الحرفي لكلمة إثنوغرافيا هو الكتابة عن مجموعات من الأفراد باستخدام التصميم الكيفي, بمعني دراسة مجموعة من الأفراد في منازلهم أو في أماكن عملهم, وملاحظة كيف يسلكون ويتصرفون ويتحدثون ويفكرون, ونضع تصوراً كلياً لهذه الجماعة, فالمنهج الاثنوغرافي هو منهج لوصف الواقع واستنتاج الدلائل والبراهين من المشاهدة الفعلية للظاهرة المدروسة, ويتطلب هذا المنهج من الباحث معايشة فعلية للمبحوثين في الميدان أو حقل الدراسة. (15)

ويضيف أبو علام البحث الإثنوغرافي هو نموذج من نماذج البحوث الكيفية, يتضمن جمعاً مكثفاً للبيانات, أي جمع بيانات للعديد من المتغيرات علي فترة ممتدة من الزمن في وضع طبيعي, ويقصد بالوضع الطبيعي أن متغيرات البحث يجري استقصاؤها في الموضوع الذي تحدث فيه بشكل طبيعي وأثناء حدوثها, وليست في بيئة وضعها الباحث في ظروف شديدة الضبط.(16)

وحسب جيامبيترو الإثنوغرافيا منهج بحث له تاريخ يفوق مائة عام , وقد نشأت في العالم الغربي كشكل من أشكال المعرفة حول ثقافات مختلفة ومتباعدة لا ينفد إليها التحليل ولا سبيل لفهمها عبر اتصال ثقافي سريع أو عبر محادثات موجزة, وتكتسب الإثنوغرافيا رواجاً متزايداً في الوقت الحالي في الأبحاث الإجتماعية والطبيعية, وقد تصبح ظاهرة جماعية علي نطاق واسع في السنوات المقبلة لأننا نعيش الان في مجتمع الملاحظة. (17)

وهذا ما عبر عنه كوهين Kuhn "نحن نعيش في عصر الثورة المنهجية"، ويعتمد المنهج الغثنوغرافي علي الوصف والتحليل, باستخدام الكلمة والعبارة, عوضاً عن الأرقام والجداول الإحصائية, وتتركز أهميته في كونه يقدم لنا وصفاً مكثفاً للظاهرة محل الدراسة, ويسعي إلي الكشف عن المستور, اعتماداً علي مشاركة الباحث المتعمقة لمجتمع الدراسة, ولكونه الأداة الرئيسية لجمع البيانات والمعلومات وتصنيفها وتحليلها, ويعتمد المنهج الإثنوغرافي في جمع بياناته أساساً علي الملاحظة خصوصاً الملاحظة بالمشاركة, والمقابلة المفتوحة المتعمقة مع عينة الدراسة, وهو ما يسعي إلي دراسة السلوك الإنساني من خلال التفاعل بين الباحث والمبحوثين, وعبر الفهم

المتعمق لشعور وأحاسيس وأفكار ومعتقدات المبحوثين, ومنه ينتج هذا التحليل الكيفي نوعاً من المعرفة تختلف عن النتائج التي ينتجها البحث الكمي. (18)

ويتميز المنهج الإثنوغرافي بالمرونة في التحليل, فهو بحث غير مقنن, لا يخضع لضبط سابق للمتغيرات, كما أنه له القدرة علي الكشف عن الظواهر العفوية التي تظهر من خلال الممارسات والسلوكيات غير المقصودة خلال إجراء الدراسة, كما يوصف البحث الإثنوغرافي بأنه تفاعلي ويركز علي وصف السياق ذاته, دون محاولة الباحث فرض نظامه ومعتقداته علي المواقف البحثية, كما تتم عملية تفسير البيانات في إطار السياق ذاته, وأن تعميم النتائج ليس هدفاً. ويؤكد ويلسون أن المنهج الإثنوغرافي يقوم علي ركيزتين: الأولي هي التحليل الكيفي (النوعي) للظاهرة محل الدراسة, والثانية هي الاعتماد علي الطبيعة أو الواقع. (19)

فهو ليس له إجراءات صارمه في إطاره المنهجي, وإنما هو أسلوب بحثي يرتكز علي مبادئ علمية لوصف وتفسير السلوك الثقافي والبحث عن ما وراء السلوك الظاهري من جذور ثقافية, كالعادات والتقاليد والمعتقدات والقيم وارتباطها بأنماط السلوك. (20)

ومنه يمكن تعريف المنهج الإثنوغرافي بأنه الدراسة الحقلية الميدانية بمشاركة الباحث في الظاهرة المدروسة والذي لابد أ نيكون قريباً من الحق المدروس ويهتم بدراسة العادات والتقاليد والأعراف والطقوس والمعتقدات عند جماعة معينة, معتمداً في دراسته علي الملاحظة الميدانية بالمشاركة وبدون مشاركة لرصد الظواهر المدروسة ومعاينتها بشكل دقيق وجمع البيانات حولها وتدوينها وتسجيلها ومراقبة الظاهرة ووصف عادات وتقاليد تلك الجماعة المعنية بالدراسة وصفاً دقيقاً شاملاً من جميع الجوانب.

رابعاً : البدايات الإثنوغرافية وتطورها في دراسات الجمهور:

يعود ظهور الدراسات الإثنوغرافية في الإعلام منذ ثمانينات القرن الماضي, إلي الدراسات الثقافية في بريطانيا بداية السبعينات تحت مركز الدراسات الثقافية المعاصرة. حيث غيرت هذه الأخيرة بنظرتها النقدية إلي طبيعة عمل وسائل الإعلام, وأيضاً انتقاداتها الحادة إلي المناهج الكمية المستخدمة في دراسات الإتصال ويعود توجه البحوث والدراسات الإعلامية والإتصالية نحو المنهج الإثنوغرافي لفهم ظواهر الإعلام والإتصال متأثرة بالفكر النقدي لرواد مدرسة فرانكفورت النقدية. (21)

أما عن المنهج الإثنوغرافي فهو منهج قديم جداً مستمد من علم الانثروبولوجيا ويعود تاريخه أساساً إلي أعمال الباحث الانثروبولوجي **برونيسلاو مالينوسكي** Bronislaw Malinowski التي أجراها في عام 1920 عندما عايش تجربة مباشرة مع مجموعات اجتماعية, حيث درس لغتهم وطقوسهم وعاداتهم الاجتماعية والعلاقات بين الأفراد ودورها في انتاج الثقافية إذ يري بأنه من خلال المنهج يمكنه

التعرف أكثر علي ثقافات الشعوب والاقتراب منهم لمعرفة أخبارهم في شتي الميادين علي اختلافها. (22)

وعليه يري الباحثون في هذا المجال بأن هذا المنهج هو سلسل المنهج الانثروبولوجي, إذ يطلق عليه في الدراسات الإعلامية اللاتينية بأنثروبولوجيا الإتصال, علي خلاف الأدبيات الأنجلوساكسونية التي تسميه بإثنوغرافيا الإتصال أو إثنوغرافيا الإعلام, ومن ثم اعتبر إثنوغرافيا الإعلام هو الرهان واليد المنطلقة نحو دراسة مشكلات الإعلام الجديد نظراً لما يتميز به هذا الاخير من مميزات تمكن الباحثين من فهم مختلف الظواهر المعقدة الناجمة عن الإعلام الجديد, باعتبار أن الجمهور المستخدم لتكنولوجيات الإعلام الجديد أصبح إيجابي وفعال استصعب علي المناهج الإمبريقية الإمساك به في العوالم الإفتراضية والرقمية واحتواء المشكلات الناجمة عنه, حيث أن الجمهور في إطار هذا النمط من الإعلام استطاع أن يقضي تماماً علي النظرة التشاؤمية التي كانت تقضي علي الفكرة التي تعتبر أن الجمهور سلبي وغير فعال في العملية الإتصالية.

ومن هذا المنظور, فإن المنهج الإثنوغرافي يمكنه ان يتجاوز الحدود التي لم تتمكن المناهج الإمبيريقية من تخطيها, كما يستطيع إلي حدٍ ما من فك تعقيدات ومشكلات الإعلام الجديد للأسباب الأتية:

-الباحث في هذا النمط من المنهج يصبح جزءاً من مجتمع البحث, فيكون هو نفسه الباحث والمبحوث, أما في المناهج الأمبيريقية فإن الباحث يبقي في مسافة موضوعية بينه وبين ميدان البحث.

-كما يتمكن الباحث عبر هذا المنهج من الإتصال بعمق مع المبحوثين في ميدان البحث, أما الباحث الذي يعتمد علي المناهج الإمبيريقية يتقيد بالإستبيانات المسحية والاجوبة المحددة بنمط الأسئلة.

ومن هذا المنطلق يبدو أن الباحث من خلال المنهج الغثنوغرافي يعيش مع الظاهرة بعمق ويصبح جزءاً من ميكانيزماتها, لذلك يعرف أشهر الباحثين الإثنوغرافيين **أتكينسون وهامرسلي** Atkinson and Hammersley الإثنوغرافيا بأنها "عملية الإستكشاف والتحقق في قضيةٍ ما بنتائج أكثر تفصيلاً, من خلال تحليل يقوم علي تأويل واضح للمعاني يشمل وظائف الافراد ونشاطاتهم. (23)

كما يعرف هذا الثنائي (أتكينسون وهامرسلي) الإثنوغرافيا في موضع أخر بأنها الدراسة التي يمكن القيام بها أو إجراؤها في السياق أو الموقف الطبيعي, حيث يقوم الباحث بجمع البيانات أو الكلمات أو الصور ثم يعمل علي تحليلها بطريقة إستقرائية مع التركيز علي المعاني التي يذكرها المشاركون, ويتم إجراؤها بواقع طبيعي غير متكلف عن طريق معايشة الباحث الفعلية للمجتمع موضع الدراسة, والملاحظة بالمشاركة لجميع وقائع السلوك في الحقل مع تدوين أي نوع من الملاحظات.(24)

أما عن علماء الإنثروبولوجيا الامريكيون فيعرفون البحث الإثنوغرافي, بانه الطريقة التي يتم من خلالها وصف ثقافة مجتمع ما, وهو المنهج الذي يستخدمه الباحث لملاحظة السلوك في بيئته ووضعه الطبيعي ويتوصل من خلال هذه الملاحظات إلي معني لهذا السلوك.

ويعرف ايضاً البحث الإثنوغرافي, بانه طريقة وأداة لفهم أساليب مجتمع – أو جماعة من الجماعات, وفي طرقه في الحياة اليومية, من خلال معرفة اعضائه ومعتقداتهم وقيمهم, وسلوكياتهم وما يصنعونه من اشياء يتعاملون معها, ويتم ذلك عن طريق الملاحظة بالمشاركة في الوضع الطبيعي الحياتي من جانب الباحث.

خامساً : أنواع الإثنوغرافيا:

إن من أهم خصائص الإعلام الجديد, هو قدرة الجمهور علي توليد محتوياتهم بأنفسهم بفضل تكنولوجيا الويب2. وعليه يمكن المنهج الإثنوغرافي الباحث من رصد استخدامات الجمهور لمختلف تكنولوجيات الإعلام والإتصال ومحتوياتها. والمكوث بعمق مع المبحوثين في مختلف الفضاءات والعوالم الإليكترونية والرقمية ولفترات متباينة, لذلك نجد من يحدد نوعين من الإثنوغرافيا وهي عبارة عن: (25)

1- الإثنوغرافية الكلاسيكية:

وهي التي تتطلب من الباحث المكوث عدة سنوات في ميدان البحث وهي الإثنوغرايفة التي كانت تستخدم في نطاق إنثروبولوجية الإتصال مثل ما قام به مالينوسكي.

2- الإثنوغرافية الحديثة:

فهي الأقصر مقارنة بالأولي, فهي لا تتطلب من الباحث المكوث لمدة طويلة في ميدان البحث.

وبصفة عامة يعد البحث الغثنوغرافي فرعاً من البحوث الكيفية أو النوعية وتتنوع تسميات البحث الإثنوغرافي فيطلق عليه أحياناً البحث النوعي أو الكيفي Qualitative Research أو البحث الحقلي Field Work أو الطبيعي Naturalistic أو البحث التفسيري Interpretive ويشير كراسويل إلي عدة أنواع من البحث الإثنوغرافي بما في ذلك :

- البحث الإثنوغرافي التقليدي.
- البحث الإثنوغرافي الذاتي.
- البحث الإثنوغرافي النسوي.
- البحث الإثنوغرافي السردي.

- البحث الإثنوغرافي لتاريخ الحياة.
- البحث الإثنوغرافي لتحليل الصورة (الصورة الفوتوغرافية – أشرطة الفيديو ... إلخ).
- البحث الإثنوغرافي النقدي. (26)

سادساً : المنهج الإثنوغرافي في دراسات الجمهور:

عندما نتحدث عن المنهج الإثنوغرافي فإننا نقصد مجمل المناهج التي تعتمد علي الإحتكاك الميداني للباحث مع المجتمع الذي يريد دراسته, أي يتعلق الأمر بمجمل المناهج التجريبية التي بواسطتها يقيم الباحث في حالة البحث الميداني, وهي العلاقة ذات المردود العلمي الاكثر بينه وبين ميدان البحث.

يتضمن مفهوم البحث الميداني الإثنوغرافي فكرة البحث الميداني المباشر الذي يقوم به الباحث في سياق علاقة معايشة في الميدان محل الدراسة, فالبحث الإثنوغرافي هو بحث اجتماعي يتميز بالإنخراط العميق للباحث في حياة الناس لفترة من الزمن ليراقب ما يسمع وما يحدث, يسأل الأسئلة ويجمع ما يمكن جمعه من البيانات بهدف تسليط الضوء علي قضايا محورية تفيده في البحث. فيتم من خلال تلك الاسئلة أن يجمع جمعاً مكثفاً من البايانات عن العديد من المتغيرات علي فترة زمنية معينة ومحددة وفي وضع طبيعي. والمقصود من مصطلح الوضع الطبيعي أن متغيرات البحث يجري استقصاؤها في الموقع الذي تحدث فيه بشكل طبيعي وأثناء حدوثها, وليست في بيئة وضعها الباحث في ظروف شديدة الضبط. وعند القيام بدراسة إثنوغرافية حول جمهور الأنترنت بصفة عامة وجمهور الشبكات الإجتماعية بصفة خاصة فإن الباحث يقع في حدود البحث الكيفي السوسيولوجي لمجرد الفهم وبث البحث الإجرائي, كون الفهم والمشاركة في التغيير نحو الأفضل, وبالتالي فإنه يختلف في المنهجية والأهداف عن الأبحاث الكمية.

فالباحث الإثنوغرافي يقوم عند دراسة جمهور الإنترنت أو جمهور شبكات التواصل الإجتماعي فإنه يقوم بمعايشتهم وذلك من خلال فترة من الزمن, وهذا بهف توضيح أنماط وكيفيات استخدام الأفراد وكذلك تفاعلهم من خلال منابر التواصل بهذه الشبكات الإجتماعية, وكذلك تفسير سلوكياتهم والمعتقدات والاتجاهات والتمثلات الثقافية والإدراك والدوافع الخاصة بالأفراد وكذلك التأويلات والتفسيرات المختلفة التي يعطيها الأفراد عند استخدامهم لها.

ويذكر "مارسال موس Marcel Mause لدراسة أي مجتمع ينبغي أن يتوافر ما يلي : (27)

مورفولوجيا اجتماعية: فكل مجتمع يتكون من سكان, ودراسة السكان في الميدان يطلق عليه مورفولوجيا اجتماعية. التي تحتوي علي ديموغرافيا وجغرافيا الإنسان, ويضيف لها التكنومورفولوجي.

فيزيولوجيا اجتماعية: تدرس الظواهر في حركيتها وتطورها واستمراريتها سواء كانت تقنيات, جماليات, اقتصاد, قانون, الدين, العلوم, الهندسة المعمارية.

ظواهر اجتماعية: لغة, علم السلوك أو الأخلاقيات الجماعي, ظواهر وطنية, ظواهر دولية مثل الحداثة.

ويتطلب البحث الإثنوغرافي مشاركة كلية للباحث. وانفتاح ذهني ومهارات وتدريبات علي تقنيات الملاحظة واستعمالها في مختلف التحقيقات الاجتماعية. كما يحتاح أحياناً استثماراً في الوقت والجهد لكي يتعود علي مجال البحث والإندماج فيه, وإلي جانب المشاركة الكلية والملاحظة المباشرة والمستمرة للسلوك اليومي, قد يلجأ الباحث إلي تقنيات المقابلة عي مستويات مختلفة والحوار ومجموعة أخري من الإجراءات لكشف الإرتباطات العلائقية بين مختلف الأفراد والجماعات المدروسة في بنوة ومصاهرة ومعتقدات وطقوس محلية من شأنها أن تساهم في تفسير مظاهر التمايز والتماثل, والمتنافرات والتقاطعات في ممارسة الحياة اليومية.[28]

كما أنه لا يمكن الحديث عن النزول الميداني وتبني أسلوب الملاحظة أو الملاحظة بالمشاركة أو المقابلة دون الإشارة إلي المعرفة اللغوية أي معرفة لغة الأهالي المبحوثين, وقد أثارت هذه النقطة عدداً من الباحثين الإنثروبولوجيين والذين اعتبروا المعرفة اللغوية شرطاً أساسياً لكل باحث ينوي النزول إلي الميدان, لأن جهل لغة الأهالي من قبل الباحث تؤدي إلي عدد من المشاكل التي تسيئ إلي الباحث وإلي موضوعه, حيث يجد نفسه مضطراً لطلب خدمة ومساعة مترجمين أو دليل, الذي هو في أغلب الحالات من سكان المجتمع محل الدراسة وعضو من الاهالي المبحوثين. غير أن هذا الإجراء قد لا يؤدي إلي دائماً دوره العلمي كما يجب أن يكون. فالمترجم قد يعجز عن نقل كل الحقائق الثقافية والإجتماعية والنفسية والعقائدية للمبحوثين نقلاً صادقاً وأميناً. فكثيراً ما يلجأ إلي الحذف أو التغيير أو الإضافات من ابداعه الخاص والشخصي, فيبدع مادة ليست لها أي علاقة بالمبحوثين ونسبها إليهم. فيتبناها الباحث ويدونها ويعتمدها في دراسته وهذا أمر خاطئ وخطير, ومن هذا المنطلق أكد الباحثون علي ضرورة تعلم لغة مجتمع البحث لأنها هي الوحيدة التي تلهمه تأشيرة الإندماج الصادق والطبيعي بين الأهالي وتمكنه من جمع مادته مباشرة من أفواه ومصادر أصحابها دون وسيط..[29]

وفي السنوات الأخيرة عرف البحث الميداني تطوراً كبيراً وذلك لاستعانة الباحث أثناء تواجده في الميدان بالوسائل السمعية والبصرية المتطورة التي سمحت له بتسجيل كل شاردة وواردة وكل ما عجز أو غاب عن تسجيله الكتابي أو عجزت ذاكرته استيعابه وتذكره, لقد بدأ يستعمل وسائل متعددة ومتطورة في التسجيل الصوتي إذا كان الموضوع اساساً صوتياً أو التسجيل الفوتوغرافي, إذا اقتضي الامر لاستعمال الصور وتصوير بعض الأحداث أو بعض السلوكيات سواء كانت جامدة أو تسجيل الأحداث

والممارسات في وقتها الأني. في صورة فيلم يعود إلي مشاهدة ورؤية الأحداث من جديد وهي تتحرك وقتما شاء وأينما شاء.[30]

لقد قدمت هذه الوسائل السمعية والبصرية خدمات مهمة للباحث الميداني وأمدته بطاقات موضوعاتية غزيرة, كما ساعدته في تسيير وقت البحث واقتصاد طاقاته التي لم يعد يستثمرها في العودة إلي الميدان في مناسبات مختلفة لرؤية نفس الحدث أو المشهد, فيكفيه إعادة سماع التسجيل الصوتي أو إعادة مشاهدة التسجيل الفوتوغرافي أو الفيلم ليعيش ميدانه دوماً وأبدا قريباً منه وجعله يتحرك أمامه.[31] ولدراسة جمهور الأنترنت لابد أن يعتمد الباحث علي مجموعة من الادوات الخاصة بجمع البيانات[32] نوردها مفصلة فيما يأتي:

1-الملاحظة بالمشاركة:

يطلق بعض العلماء علي الملاحظة بالمشاركة اصطلاح التدخل الوظيفي Functional Penetration كما تسمي بالملاحظة الغير منظمة Unstrectured observation

تعد الملاحظة أداة أساسية من أدوات المنهج العلمي في البحوث الإجتماعية والإنسانية بصفة عامة ولن نخوض فيها بالتفصيل باعتبارنا سوف نخصص لها فقرة بالفصول السابقة ضمن أدوات الدراسة, إلا إننا سوف نقدم قراءة سريعة لإحدي اشكالها ألا وهي الملاحظة بالمشاركة وذلك باعتبارها من أهم أساسيات الدراسات الإثنوغرافية, إذ تتطلب البحوث الإثنوغرافية في مختلف مجالاتها العلمية معايشة الباحث للظواهر الإجتماعية في واقعها الطبيعي وفي سياق الحياة اليومية الذي تقوم فيه الظاهرة محل الدراسة, لذلك يستوجب علي البحث في مثل هذا النوع من البحوث أن يكون جزءاً من المجتمع الذي هو بصدد دراسته حتي يتسني له الإقتراب أكثر مع مجتمع المبحوثين ومعايشة واقعهم الطبيعي من خلال الملاحظة بالمشاركة والتي تعد كتقنية للتقصي. (33)

وتستخدم الملاحظة بالمشاركة عادةً وبصفة مستمرة في مشاهدة مجموعة ما أو قرية أو جمعية أو حتي أسرة, وبشكل عام فإن الجماعات المتكونة في المجتمع المبحوث وذلك بغرض أخذ معلومات مباشرة من أجل فهم مختلف المواقف والسلوكيات. ويمكن للملاحظة أن تأخذ أشكالاً أخري كالملاحظة من دون المشاركة والملاحظة المستترة والملاحظة المكشوفة. (34)

حيث يقابل الباحث في بداية دراسته الميدانية مشكلة **"الدور"** الذي يجب أن يؤديه كي يحصل علي معلومات موضوعية وترجع أهمية تلك المشكلة إلي الحقيقة القائلة بأن تواجد الباحث في عشيرة أو جماعة أو قبيلة معينة تدفع الأفراد موضع الملاحظة إلي تغيير سلوكهم العادي العادي, أو إلي الإدلاء بأقوال لا تعبر عن الواقع وذلك لشعورهم بأنهم خاضعون لملاحظة الغير, لذلك لابد للباحث أن يقوم "بدور" ما في

المجتمع بحيث يترتب عليه أن يقبله أفراد المجتمع وكأنه واحد منهم, وبالتالي يكتسب ثقتهم ويبدد الشكوك حول مهمته, ويضعف شعور العداء الذي يواجهه الغرباء الذين يتعاملون مع المجتمع لأول مرة وهكذا يذهب الباحث الإثنوغرافي إلي المجتمع الذي يدرسه ليعيش فيه فترة من الزمن لاكتساب ثقة الأفراد وكذلك جمع المعلومات اللازمة, ولا يبدأ الباحث في الدراسة وتوجيه الأسئلة وإنما يتعلم أسلوب الحياة الجديدة من خلال تعلم لغتهم واعتماد وتبني نفس تصوراتهم وكذا المفاهيم السائدة, وكا توجب عليه الأخذ بالقيم التي يعتنقونها ويعمل معهم ويشاركهم طعامهم واحتفالاتهم وحتي طريقة ارتداء ملابسهم. (35)

وذلك بشكل مؤقت حتي يستطيع تحقيق الملاحظة الموضوعية, ويمكن كذلك للباحث الإثنوغرافي أن يدخل كعضو في جمعياتهم إذا سمحت النظم الإجتماعية بذلك, كما يتوجب عليه طوال فترات الدراسة كتابة تقارير يومية عن كل صغيرة وكبيرة أثناء دراسته وبذلك يتمكن من أخذ فكرة عامة عن أسلوب معيشة المجتمع المدروس, وأفضل الظروف لتسجيل تلك المعلومات هي مكان المحادثة وأثناء حدوثها إذ يترتب علي ذلك إبعاد عدة عوامل قد تعمل علي تشويش عملية تسجيل الملاحظات كعامل ضعف الذاكرة الإنسانية, أو التحيز في تسجيل معلومات معينة. (36)

ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأنه تكمن أهمية الملاحظة الإثنوغرافية في البحوث الإعلامية, في معايشة الباحث للجمهور المستخدم لتكنولوجيات الإعلام والإتصال بصفة مباشرة سواء في الواقع الحقيقي "الفيزيقي" مع وسائل الإعلام التقليدية أو في الواقع الإفتراضي مع وسائل الإعلام التي توصف بالجديدة كمعايشة الباحث للجماعات الإفتراضية المتشكلة عبر شبكات التواصل الإجتماعي.

2-المقابلة الإثنوغرافية:

تعتبر المقابلة من الإجراءات المهمة التي قد يعتمدها الباحث في جمع مادة بحثه وبالتالي فإن شأنها من شأن الملاحظة والملاحظة بالمشاركة, حيث يتجه الباحث نحو أناس يقابلهم ويتحدث معهم حول موضوع بحثه وكل ما يتعلق به بطريقة مباشرة, أو غير مباشرة وذلك حسب الظروف والحالة النفسية والثقافية والإجتماعية للمبحوثين. فإن المقابلة "بوصفها وسيلة لجمع البايانات والمعلومات يعتمد فيها الباحث عن المحادثة الموجهة مع الأخرين من أفراد مجتمع البحث الذي يقوم بدراسته, وتعتبر المقابلة مصدراً مهماً من مصادر المعلومات, بالإضافة إلي أهمية استخدام المقابلة مع الإخباريين بهدف تجميع أكبر قدر من المعلومات وإلقاء الضوء علي بعض الجوانب التي توصل إليها الباحث من خلال عملية الملاحظة بالمشاركة.(37)

نستنتج أن المقابلة كإجراء بحثي تختلف عن المحادثة العادية والمنهجية يكون قد حددها الباحث مسبقاً من أجل إنجاح بحثه وتحقيق أهدافه, كما يمكن للباحث أن

تواجهه عدة صعوبات أثناء إجراء المقابلة يجب عليه أن يأخذها بعين الإعتبار ويحسب لها حسابات معرفية ونفية واجتماعية وثقافية ومنها:

-ضرورة اختيار الأشخاص الممكن مقابلتهم والتحاور معهم ومحادثتهم محادثة علمية ولأهداف علمية, أي لابد وأن يتم اختيار المبحوثين الذين تتوفر فيهم الثقة, زالصدق والمعرفة الواسعة بشؤون المنطقة والأهالي.

-ضرورة اختيار الأسئلة الهادفة والمفيدة والمثمرة والواضحة والتي لا تحرج المبحوث هذا من جهة, ومن جهة أخري لابد وأن تكون الاسئلة ذات الصلة الوطيدة بموضوع البحث, وهنا تظهر قدرة الباحث علي أن يحدث للمبحوث ويثير اهتمامه متدرجاً بالأسئلة من السؤال البسيط إلي المركب, ولا شك أن طرح بعض الأسئلة المحرجة أو الحساسة تربك المقابلة تماماً وتؤثر سلبياً علي سيرها. فلابد أن يكون لدي الباحث القدرة واللياقة في طرح مثل هذه الأسئلة.

-ضرورة اختيار وقت المقابلة, أي الوقت الذي يكون مناسباً لدي المبحوث, ويكون حراص ومتفرغاً للمقابلة والمحادثة بعيداص عن العمل أو عن أي انشغال أخر والذي يتحكم في حضوره المقابلة أو ان زمن المقابلة قد يزعجه ويمنعه من أداء بعض الواجبات أو بعض الأعمال الخاصة به.

-ضرورة اختيار مكان المقابلة, بعيداً عن أنظار الناس الذين قد يزعجون المبحوث بضجتهم أو أن المبحوث نفسه قد يتضايق من حضورهم ويكون في وضعية حرجة ولا يفصح عن مكوناته أو يريد أن يكتم بعض أفكاره خوفاً من الحضور أو حياءً منهم.

-ضرورة احترام الحالة النفسية للمبحوثين وعدم إجبارهم علي المقابلة حيث "قد يحدث في كثير من الأحيان أن تقطع المقابلة لأسباب وظروف طارئة, كعدم رغبة المبحوث في استكمال المقابلة بسبب نفوره من الموضوع او مله من تعدد المقابلات أو غير ذلك من الأسباب"

وعلي الباحث ان يوسع في مجال ودائرة مبحوثيه وينوع ويكثر من المقابلات وتعدد واختلاف المبحوثين ومقابلاتهم حول الموضوع الواحد قد يكشف عن الاختلافات أو عن الأفكار الخاطئة والمزيفة التي قد تكون من وحي وايداع المبحوث أثناء المحادثة. فعن طريق المقابلة يقوم الباحث بمراجعة المادة المستوحاة من الملاحظة فضلاً عن الحصول علي معلومات محددة عن جوانب معينة من السلوك, كما يمكن استخدامها في حث الإخباريين وتشجيعهم علي أن يتحدثوا أو أن يتغلبوا علي أحجامهم في مناقشة نقاط معينة من خلال طرح بعض الأسئلة المفتوحة أو المقننة.

ويمكن القول أن المقاربة الإثنوغرافية مهمة جداً في الأبحاث الإجتماعية عامةً, وعلوم الإعلام والإتصال خاصةً وذلك لقدرتها علي تجاوز سلبيات استعمال تقنية

الإستمارة في جمع البيانات وصعوبات اختيار العينة التمثيلية, التي واجهت معظم الباحثين في أبحاث عينة الدراسة. وهو أيضاً تحدي يواجه الباحثين في مجال الجمهور. والمقابلة الإثنوغرافية تتمايز بين طريقتين إما المقابلة الموجهة أو المقابلة غير الموجهة و سنورد كلا الطريقتين فيما يأتي:

1- طريقة المقابلة الموجهة (Guided Interview**)**

هذه الطريقة غير شائعة في الدراسات الخاصة بالمجتمعات الواقعية ذلك أنها تثير شكوك الأفراد لعدم تعودهم علي تلك الطريقة الرسمية في الحديث وخاصة أنه في الغالب لا يعرف معظم المبحوثين القراءة والكتابة كما أن لديهم صورة نمطية علي من يتحدث معهم ويسجل أقوالهم علي انه محقق أو ضابط شرطة, مما قد يصعب عملية تدوين الملاحظات لما يكتنفها من خوف من قبل المبحوثين أو نفور, ولذلك لا يستخدمها الإثنوغرافيون كثيراً إلا في المجتمعات الحضارية أو المجتمعات الإفتراضية باعتبار أن المجتمع المبحوث لا يتوفر لديه الوقت للأحاديث المطولة فنجد معظمهم يعتمد علي الغختصارات والعبارات القصيرة في الرد لذا استوجب علي المبحوث التقيد باستمارة تمكنه من جمع ولو عدد معتبر من إجابات المبحوثين علي أن يتم مخاطبتهم بحسب اللغة التي يعتمدونها أو شرح الأسئلة باللغة التي يداولونها لكي تحصل الطمأنينة ويتحصل بذلك الباحث علي مراده.

2- طريقة المقابلة غير الموجهة (Unguided Interview**)**

يستخدم الباحث الإثنوغرافي أثناء الدراسة الميدانية بالإضافة إلي الملاحظة بالمشاركة المقابلة الموجهة وتتمثل في مقابلة بعض أفراد مجتمع الدراسة أو جميعهم, حسب عينة الدراسة يحاول الباحث في المقابلات الأولية اكتساب ثقتهم بحيث يبدأ الباحث ويتيح لهم فرصة الإجابة المطولة دون توجيه الأسئلة للمبحوثين مما قد يعمل علي توجيه الإجابة وجهة معينة كما يترك للمبحوثين حرية الأنتقال من موضوع لأخر أثناء الحديث, كما يعمل بقدر الإمكان علي تشجيعهم في الإسترسال في الحديث والتعبير عما يعتقدونه حول موضوع محل السؤال والذي بدوره يهم الباحث في دراسته. ويمكن لهذا الباحث تدوين تلك المعلومات أو تسجيلها بالألات الحديثة إذا كان قد اكتسب ثقتهم, وفي حالة عدم اكتساب تلك الثقة يمكن تدوين النقاط الاساسية بطريقة لاتثير الشك. وفي بعض الأحيان لا يكتسب الباحث أية معلومات أثناء المقابلة غير الموجهة, وإنما عليه تدوين كل ما سمعه بعد المقابلة مباشرة.[38]

حتي لا ينسي بعض عناصرها, وتتلخص اهمية هذه الطريقة في أنها تتيح فرصة إظهار سمات شخصية الأفراد. وإعطاء معلومات تفصيلية عن الموضوعات التي تدور حولها الأسئلة كما لا تسمح بأن نتكلم عن الأخرين, بل تترك المجال للاخرين ليتحدثوا عن أنفسهم, وهو مايذهب إليه العديد من الباحثين الإثنوغرافيين, مما يضفي حسب تقديرهم مزيد من الموضوعية علي سيرورة البحث.[39]

إلا أن ما يعاب علي هذه الطريقة هي عدم التحديد الدقيق والضبط للعناصر التي يريد الباحث التطرق لها في المقابلة, وكذلك طول المدة التي يتطلبها الباحث ليصل لمرحلة الثقة التي تمكن المبحوثين من الإسترسال في التحدث معه خاصة إن تعلق الأمر بمجتمع إفتراضي كالمجتمع محل الدراسة هذه, إذ يصعب التحدث مع المبحوثين بسهولة وذلك راجع لعامل الخصوصية إذ يخشي معظمهم الكشف عن هويته الواقعية في الواقع الإفتراضي. وهذا ما يحيلنا للطريقة الأولي من المقابلة ألا وهي المقابلة الموجهة.

3-طريقة الإختبارات النفسية:

تعد هذه الطريقة من الطرق الغير شائعة في دراسات الجمهور وبصفة خاصة في الدراسات الإثنوغرافية وتستخدم عموماً في الإنثروبولوجيا الإجتماعية أثناء الدراسات الميدانية لبعض الإختبارات النفسية لتحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع محل الدراسة, ومن أمثلة تلك الإختبارات **"اختبار روشاخ.** (40)

ويتكون هذا الإختبار الذي نسخ إلي واضعه من عشرة لوحات يرسم علي كل لوحة صورة مكبرة لنقطة حبر يقذف بها علي ورقة فتتخذ شكلاً غير منتظم ويطلق من الشخص المبحوث وصف ما يمكن أن يتصوره من أشكال عندما ينظر لكل لوحة, وعلي أساس ما يقرره الشخص يمكن التوصل إلي تحديد بعض خصائص شخصيته.

سابعاً : خصائص البحث الإثنوغرافي:

تتطلب الابحاث الإثنوغرافية أليات معينة كتدوين المشاهدات والملاحظات إجراء أو استخدام المقابلات العميقة مع المبحوثين من أجل جمع البيانات, وتتم عملية جمع المعلومات وتحليلها في المنهج الإثنوغرافي بشكل مختلف عنها في البحوث الكمية, ففي الغالب تمر عبر أربعة مراحل متداخلة وغير منفصلة عن بعضها البعض وبشكل تكاملي حيث يتم جمع المعلومات في المرحلة الأولي ومن ثم تنظيم المعلومات وتصنيفها في المرحلة الثانية, ثم تأتي بعد ذلك مرحلة عرض المعلومات, اختصارها وتقديمها علي شكل مصفوفات وأفكار محورية, والمرحلة الأخيرة تتصل بعد استخلاص النتائج وعرضها والتأكد من تطابقها. (41)

وضمن إطار المرونة التي يتيحها المنهج الإثنوغرافي للباحث هو إمكانية تغيير خطة الدراسة وتصميمها, بل وتغيير أسئلتها, وفيما يلي عرض لأهم الخصائص التي يتميز بها البحث الإثنوغرافي والدراسات الإثنوغرافية علي حد سواء. (42)

- يتصف المنهج الإثنوغرافي بالمرونة, فهو يتيح للباحث إطاراً منهجياً عاماً بإمكانه الإبتكار والإضافة له من خلال رؤيته الإبداعية وقدرته علي جمع أكبر قدر من البيانات والمعلومات, حيث لا توجد في هذا المنهج ألية موحدة لجمع البيانات وتحليلها.

- يتعلق بفهم السلوك الإنساني دون تحكم مقصود أو غير مقصود.
- ربط البيانات والوقائع بالمفاهيم واستخلاص النظريات والمعارف من الميدان.
- ربط النتائج المستمدة من دراسة مجموعات معينة في سياق اكبر.
- يتم في مواقف طبيعية بدراسة السلوك في سياقه الطبيعي.
- يقوم علي دراسة حالة واحدة لمجتمع صغير , أو حالة واحدة.
- يعتمد علي الملاحظة المباشرة.
- يختبر ما يحدث دون الإعتماد علي أراء مسبقة.
- يعتمد علي جمع مكثف للبيانات يمتد لفترة زمنية قد تطول.
- عدم وجود فرضيات مسبقة.
- يعطي تحاليل دقيقة وعميقة.

إلي جانب تلك المميزات والمزايا التي يتمتع بها البحث في الدراسات الإثنوغرافية هناك أيضاً بعض السلبيات التي قد تعمل عرقلة عملية البحث وافقاده تلك الليونة والسلاسة في التنفيذ وهي كالأتي:[43]

1- يتطلب وقتاً وجهداً طويلاً.

2- صعوبة التعامل مع المبحوثين(اللغة, العادات, التقاليد, الديانات,....إلخ).

3- خلفية الباحث قد لا تسمح له بالمشاركة في بعض النشاطات والممارسات.

4- وجود الباحث وسط الجماعات قد لا يجعل المبحوثين يتصرفون بتلقائية كما هم في حياتهم العادية.

5- وجود الباحث لفترة طويلة ضمن جماعة ما قد يجعله يتعاطف مع المبحوثين ويتخلي عن الموضوعية كما أنه يتطلب مهارة عالية في الملاحظة والتسجيل.

ثامناً: نماذج لبحوث إثنوغرافيا الجمهور:

خطت الدراسات الإعلامية خطوة متقدمة صوب عمليات التلقي وتطورت تطوراً كبيراً, من خلال عناية النماذج الإتصالية بعملية تلقي الخطاب وفك الرموز اللغوية للرسائل المرسلة عبر الوسائل الإتصالية إلي المتلقي, الذي الذي اهتمت به النظرية النقدية وعلوم السيميولوجيا وتحليل الخطاب والإثنوغرافيا. [44]

ويعد ستيوارت هال (Stuart Hall) ممن أسسوا لتحليل التلقي النشط في الدراسات الإعلامية من خلال مقاله الشهير حول التشفير, وفك تشفير مضامين الخطاب

التلفزيوني, حيث يري أن سيرورة الإتصال التليفزيوني تمر بأربع مراحل مختلفة تتمثل في الإنتاج والتوزيع والإستهلاك وإعادة الإنتاج, فالجمهور بالنسبة لستيوارت هال يمثل مصدر الرسالة والمتلقي في الوقت نفسه, ذلك أن لحظة التشفير لا تحيل إلي التصور التي تحمله المؤسسة الإعلامية وليس إلي توقعات الجمهور فقط. وإنما إلي المعايير التي تندرج ضمن العمل المهني ومن ثم فالممارسة الإعلامية وفق "هال" هي بناء اجتماعي معقد للمعني الذي هو في الأخير نتاج ثقافة المتلقي. (45)

لقد لاحظ روبرت ألان"Robert Allen" أنه بالإمكان تطبيق نظرية القراءة علي التليفزيون, حيث استبدل القارئ الضمني في ميدان التلقي البصري, وهو ذلك الشخص الذي سيحضره منتج الرسالة التليفزيونية في عمله, ويكون مدرجاً في الأعمال التليفزيونية القائمة علي الخيالكالدراما الفيلمية مثلاً, وبعبارة أخري يستحضر المنتج في الرسالة التي ينتجها نوع المشاهد الذي يتصوره, أي يكتب لأشخاص يفترض أنه يعرف قدراتهم علي الفهم والتأويل.(46)

ومن ثم يعد العقد الثامن من القرن الماضي مرحلة أخري من تطور بحوث الإعلام الجماهيري. تميزت بظهور نموذج جديد انتقلت فيه الدراسات من محور التأثير ودراسة ماذا تفعل وسائل الإعلام بالجمهور الذي التصقت به خاصية "السلبية المطلقة" أمام "القوي الخارقة" لوسائل الإعلام, إلي ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام في محور التلقي الذي أعاد الإعتبار إلي الجمهور كطرف نشط فعال ومؤثر ومشارك في إعداد الرسالة الإعلامية, مروراً بتجزأته وتحليله جزئياً وإثنوغرافياً في سياق الإستعمال المنزلي لوسائل الإتصال في المجتمعات الصناعية وما بعد الصناعية, وهذا ما قام به "دافيد مورلي 1986" في دراسة تحت عنوان " Family Television" لإكتشاف مختلف التفاعلات داخل الاسرة كوحدة قاعدية للتحليل, حول شاشة التليفزيون في السياق الطبيعي لتلقي المواد التليفزيونية في الفضاء العائلي, وتم إنجازها علي 18 أسرة من العرق الأبيض, في جنوب لندن, وتتكون كل واحدة من شخصين بالغين, وطفلين أو أكثر أقل من سنة ال18, مع امتلاك مسجل فيديو, وأغلبيتها تنتمي إلي الطبقة العامة أو إلي البرجوازية الصغيرة, وقام "مورلي" بإبراز المكانة التي يحتلها التليفزيون في النشاط الترفيهي لمختلف الأسر وإظهار التوزيع الغير متكافئ لسلطة اتخاذ القرار بين الجنسين بشأن البرامج التي تشاهد وأوقات المشاهدة, ومختلف سلوك تلقي البرامج التليفزيونية, كما استخلص "مورلي" عدة نتائج: (47)

1- ينفرد الرجال غالباً بسلطة إختيار البرامج.

2- تستخدم النساء التليفزيون كمادة للدردشة, في حين يرفض الرجال التحدث عنه.

3- تفضل النساء مشاهدة الدراما وبرامج الخيال.

4- يفضل الرجال مشاهدة برامج الرياضة, والنشرات الإخبارية.

5- الإختلافات بين أفراد الجمهور ليست فقط سيكولوجية أو ثقافية بالتعود, وإنما أيضاً إلي إختلافات إثنية.

فكانت الإنطلاقة لتغيير توجهات أبحاث الجمهور واستخدام المقاربة الإثنوغرافية, فنجد الباحث **باريوس** Barrios في دراسته الإثنوغرافية لمشاهدة الاوبرات الصابونية اللاتينية (1988) والتي أجريت في فنزويلا علي 13 أسرة, علي الطريقة الإنشائية المتبادلة التي تتشابك بها مشاهدة التليفزيون مع تنظيم الحياة الأسرية, فقد أظهرت الدراسة اندماج مشاهدة التليفزيون داخل الروتين اليومي للحياة الأسرية, الإستيقاظ من النوم في الصباح, أوقات تناول وجبات الطعام, أوقات أداء الواجبات المدرسية, العودة من العمل,... إلخ, وكانت النقطة ذات الأهمية الخاصة هي الحيز الطقوسي المقدس المنشأ حول فترتي عرض المسلسلات في التليفزيون والذي كانت حدوث اي مقاطعة للمشاهدة فيه مثار استياء وغضب, وكان ذلك مهماً بصفة خاصة للنساء اللاتي تمحورت حياتهن حول العمل المنزلي ولكنه لعب أيضاً دوراً في حياة الأباء والأبناء, والواقع أن الأسئلة المتصلة بمن يشاهد ماذا في التليفزيون؟ ومتي وأين؟ كانت محور سياسة الأسرة, وقد شجعت التواصل بين أفراد الاسرة والعطلة في أنٍ واحد. (48)

وفي سنة 1998 قام الباحث **عبدالرحمن عزايزي** في دراسة تحت عنوان "المقاربة الإثنوغرافية للتلقي المباشر للفضائيات التليفزيونية في وسط الأسر المغربية" , التعرض إلي التفاعلات الأسرية مع الفضائيات التليفزيونية في سياق أسري, وفي ظل الخصائص الإجتماعية والثقافية للمجتمع المغربي, واستخدم الباحث المقاربة الإثنوغرافية التي تهتم بمختلف أنماط تلقي الرسائل الإعلامية في ظل نظرية التلقي التي تعتبر المتلقي إيجابي, كما قام بدراسة 12 أسرة مغربية واستعان بالتحليل الكيفي باستعمال أداة الملاحظة بالمشاركة كأداة أساسية في البحوث الإثنوغرافية. وتوصل إلي مجموعة من النتائج نعرضها فيما يلي:

1- يفضل أفراد الأسرة المغربية مشاهدة البرامج التليفزيونية مشاهدة جماعية أكثر من المشاهدة الفردية, والتي تتم وفق ضوابط اجتماعية وثقافية. تلعب دور في اختيار القنوات التليفزيونية وبرامج المشاهدة.

2- توصل الباحث علي مستوي التفاعلات الأسرية إلي أشكال جديدة للإتصال في وسط العائلة المغربية, خاصة فيما يتعلق بمفهوم السلطة, القدوة, وغيرها.

3- البرامج التليفزيونية المشاهدة من طرف أفراد الأسرة المغربية الملاحظة, هي برامج تم اختيارها حسب متطلبات الحياة اليومية للأفراد, ويتم تأويلها وفقاً لسماتهم الثقافية والإجتماعية.

4- استطاع التليفزيون أن يؤدي إلي ظهور سلوكيات جديدة في وسط أفراد الأسرة المغربية سواء من حيث البرامج أو القنوات الوطنية المغربية الخاصة في مجال العلاقات الإجتماعية.(49)

ومع بدايات القرن الماضي ظهرت دراسات الجمهور وتعرضه لتكنولوجيا الإعلام والإتصال, يتعلق بدراسة تسييق استهلاك الجمهور وتعرضه لوسائل الإعلام المختلفة سواء كانت مرئية كالتلفيزيون, مسموعة كالراديو, أو مواقع تواصل إجتماعي عبر شبكة الإنترنت.

تاسعاً : أهمية الإثنوغرافيا في دراسة ظواهر الإعلام الجديد والشبكات الإجتماعية:

انصب مؤخراً الإهتمام علي توجيه هذه المقاربة للبحث في حقول الإعلام والإتصال لا سيما دراسات الجمهور, ولعل هذا يرجع لعجز المقاربات الكمية في إعطاء فهم جديد ودقيق لهذه الظواهر, فبالرغم من كون هذا المقترب يوصف علي أنه براغماتي من الدرجة الأولي وذلك راجع لكونه يأخذ بعين الإعتبار فقط المصادر المتوفرة والمعطيات المستهدفة من البحث, إلا أن هذا المقترب يعد الأنسب للدخول إلي عوالم مختلفة تتسم بالجو التفاعلي علي غرار المجتمعات الإفتراضية ضمن سياقاتها المختلفة سواء من خلال دراسة تفاعل أفرادها داخلياً أو من خلال إنعكاسات ذلك التفاعل علي عالمهم الواقعي, فهذه المقاربة تنطلث من الإعتراف بالتمايز الإجتماعي القائم علي اعتبارات متنوعة. (50)

منها كالأعراف والتقاليد. كما تعمل هذه النوعية من الدراسات علي توجيه البحث من جديد إلي دور وسائل الإعلام في تكوين هويات الأقليات خارج بيئاتها الطبيعية, خاصة في دورها في تكوين تصورهم لهوياتهم الإثنية في بيئاتهم الجديدة.

كما تنبع أهمية إدراج المنهج الإثنوغرافي في مقاربة ظواهر الإعلام الجديد, ليس باعتبار أن هذا المنهج هو منهج جديد في البحوث الإجتماعية, خصوصاً وانه سبق وأشرنا إلي أقدمية هذا المنهج من ناحية الظهور والاستخدام, بل هي دعوة لضرورة إعادة التفكير من جديد في المنهج الإثنوغرافي لدراسة مشكلات الإعلام والإتصال الراهنة والمعقدة التي أطلقها العديد من الباحثين المنشغلين بتطور تكنولوجيا الإعلام والإتصال وتغلغلها في مجتمعاتنا الراهنة, وأيضاً الصعوبات التي المنهجية التي تلقاها هؤلاء الباحثون في الإمساك بهذه التطورات الحاصلة في ميدان علوم الإعلام والإتصال في حدود إمكانيات محددة. وعليه فإن الدعوة إلي ضرورة إعادة التفكير في وسائل الإعلام الجديد والشبكات الإجتماعية من أجل معالجة ما يسمي بالإستهلاك الثقافي لمختلف التكنولوجيات.(51)

علي اعتبار انه يمكن للإثنوغرافيا الإعلامية في اهتماماتها بالسياق الذي تتواجد فيه تكنولوجيات الإعلام والإتصال علي خلاف البحوث الأمبيريقية التي اهتمت بالنتائج الكمية والعناصر الإحصائية, دون مراعاة للسياقات الإجتماعية المختلفة التي تحدث

في عمليات الإتصال بأنواعها المختلفة, وعليه يري البعض أن أهمية المنهج الإثنوغرافي في بحوث الإعلام والإتصال يكمن في العنصرين التاليين: (52)

1-أن هذا المنهج يأخذ بعين الإعتبار السياق الثقافي الإجتماعي الإقتصادي والتكنولوجي, وذلك علي خلاف النماذج السابقة التي إهتمت بعناصر العملية الإتصالية دون الإهتمام بالسياق الذي تتواجد فيه هذه العناصر.

2-أن هذا النوع من المناهج يعطي الباحث القدرة علي فهم ثقافة الجماعات وكيفية تفاعلها مع وسائل الإعلام والإتصال, من خلال معايشة الباحث عن قرب لهذه الجماعات الثقافية والبحث في دور وسائل الإعلام الحديثة في تكوين تصوراتهم حول الهوية الخاصة بهم و مدي تأثير الشبكات الإجتماعية عليهم.

3-يمكن المنهج الإثنوغرافي الباحث من مقاربة ظواهر الإعلام الجديد في مختلف أشكاله وسياقاته الإجتماعية والثقافية والتكنولوجية, كدراسة إثنوغرافيا محتويات جرائد المواطنة الإلكترونية, وإثنوغرافيا الدردشة الإلكترونية, وإثنوغرافيا مواقع شبكات التواصل الإجتماعي, وإثنوغرافيا استخدامات تكنولوجيا الإعلام والإتصال في مختلف المؤسسات الإجتماعية, وتمثلاتها الفردية والجماعية لدي الأفراد المستخدمين, وغيرها من النماذج المعقدة لمظاهر الإعلام الجديد.

فيمكن القول أن البحث الإثنوجرافي يأتي في مقدمة البحوث النوعية والتي حظيت بالإهتمام والنقاش, باعتباره هو الأدرة والطريقة المناسبة لفهم أساليب وطرق معيشة مجتمع ما.. وذلك من خلال رصد سلوكيات أفراده والتعرف علي عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم, حيث يعتمد هذا البحث علي الموضوعية في الوصف والتحليل باستخدام الكلمة والعبارة عوضاً عن الأرقام والجداول الإحصائية.

فإن الدراسة الإثنوغرافية تقدم لنا وصفاً شاملاً ومكثفاً للظاهرة محل الدراسة, في حين تقوم علي مفهوم مشاركة أو إشراك المبحوثين بطريقة مباشرة في الدراسة وتقديم وجهة نظرهم بصورة شمولية وفاعلية من طرف الباحث, والذي يجب أن يكون جزءاً من مجتمع البحث. (53)

إذن, وعلي ضوء ماتوصلت إليه أبحاث الجمهور الحديثة "تبقي المقاربة الإثنوغرافية أنسب مقاربة تمكننا من رصد مختلف التفاعلات والسلوكيات والتعاملات في الوضعية الطبيعية التي نجدها في سياق المجتمع الواحد أو الأسرة الواحدة أو بين مختلف المجتمعات", إذ بفضلها يمكن الدخول إلي عوالم الأسر والمجتمعات عموماً الذي يتصف بسياق جد معقد, في إطار تلقيها للرسائل الإعلامية كفعل فردي واجتماعي وبفضلها يمكن التوصل إلي نتائج تعكس واقع العالم المدروس بدقة وعمق. وذلك من خلال التركيز علي مجمل تفاعلات الأفراد المبحوثين وعلاقتهم مع التكنولوجيات الجديدة للإعلام والإتصال واستعمالهم لها. (54)

لأن المقترب الإثنوغرافي يركز علي فهم السلوك في سياق اجتماعي, بمشاركة الباحث في مشاركة فعالة, من خلال استخدامه لمجموعة من الأدوات المنهجية في مقدمتها المقابلات الودية الغير رسمية والملاحظة بالمشاركة. (55)

تعقيب:

نزعت الخيارات المنهجية الحديثة لأبحاث التلقي إلي التوجه الإثنوغرافي الذي تجاوز حدود التوجه الأمبريقي المفرط في استخدام النتائج الكمية والعناصر الإحصائية, دون مراعاة السياقات الإجتماعية المتعددة التي تحدث فيها عمليات الإتصال بأنواعها المختلفة, وتتضمن المنهجية الإثنوغرافية في دراسات التلقي, تحديد إثنوغرافية الجمهور وإجراء تحريات علمية حول انظمة التأويل والعمليات التي يقوم بها المتلقون, وتستند خطوات البحث إلي مختلف وحدات التحليل: الفرد باعتباره موضوع اجتماعي وذات صممت فردية social subject & individual subjectivity والجماعة والعلاقات وما بين الذات المشتركة في تجربة الحياة اليومية للجماعة, وهو ما يعني أن المنظور الإثنثوديولوجي وتحديداً أدوات البحث الإثنوغرافية بالكامل للسماح بالوصول للمجالات "الطبيعية" وخصائصها, إذ تسمح المقاربة الإثنوغرافية في سياق إشكالية التلقي اليومي لوسائل الإعلام بدخول عوالم الأسر, في سياق نشاطها الفردي والإجتماعي, لوصف هذه الأعمال. كما تتضمن الدراسات الإثنوغرافية للجماهير "النزول إلي الميدان" لمحاولة وصف وتفسير ممارسات الموضوعات في سياقها الثقافي, استناداً إلي ملاحظات الأنشطة اليومية, التي تتيح تسهيل فهم الصلات بين الجوانب المختلفة للظاهرة قيد الدراسة, وبشكل عام تساعد المقاربة الإثنوغرافية علي فهم وتحديث العمليات والممارسات التي تكتسب من خلالها وسائل الإعلام والتكنولوجيات الحديثة للإتصال معان ورموز, فالمقاربة الإثنوغرافية ببعديها الوصفي والتأويلي حسب دافيد مورلي توفر إمكانية التعرض للشبكات الإجتماعية في سياق يقوم بدراسة التأثير والإستهلاك كرمز في خلق عالم رمزي للمعني.

ورغم تعدد أهمية الإثنوغرافيا في بحوث الإعلام والإتصال, وذلك لقدرتها علي تجاوز سلبيات استخدام البحوث الكمية وإشكالية تمثيل العينات, حيث تواجه المقاربة الإثنوغرافية انتقادات حول انتقاء مجتمعات الدراسة ومداها وعينتها التي تكون في الغالب ضيقة للغاية وتحد من نطاقها.

المبحث الثاني

آلية تشكيل المجتمعات الإفتراضية

تمهيد:

احتلت العلاقات الإجتماعية مكانة هامة في التراث السوسيولوجي, بداية من المرحلة الكلاسيكية حتي يومنا هذا, فقد اعتمد "دوركايم" علي طبيعة العلاقات السائدة في تصنيفه للمجتمعات (التضامن الألي والتضامن العضوي), كما كانت العلاقات الإجتماعية محوراً مهماً في التكوين النظري الماركسي, فنشأة وتطور المجتمعات وانقسام المجتمع إلي طبقات, بل وصيرورة المجتمع نفسه مرهونة بطبيعة العلاقات الإجتماعية بين من يملك ومن لا يملك, بين البناء التحتي والبناء الفوقي.

وامتد الإهتمام بالعلاقات الإجتماعية إلي مرحلة الحداثة وما بعدها, فجوهر نظريات التبادل الإجتماعي والتفاعل الرمزي والصراع والاتجاه الظاهراتي والنسوي, مؤسس في جانب كبير منه علي العلاقات الإجتماعية السائدة داخل المجتمع.

لذلك نجد أن التراث السوسيولوجي يحلل وينظر لعلاقات اجتماعية يمكن أن نطلق عليها العلاقات المباشرة الواقعية. حيث عرف المجتمع الإنساني نوعاً جديداً من العلاقات أطلق عليها الباحثون مسميات متنوعة, اختار منها الباحث مسمي "المجتمعات الإفتراضية" وهي المجتمعات التي تأسست ووجدت بفضل الثورة الحادثة في تقنيات الإتصال, تلك الثورة التي تعد شبكات التواصل الإجتماعي أبرز ملامحها علي الإطلاق.

لقد أطلق الأنترنت مجموعة كبيرة من شبكات التواصل الغجتماعي التي أسست المجال العام لعالم جديد من العلاقات بين البشر, عالم افتراضي تلاشت فيه حدود الزمان والمكان وتراجعت فيه مفاهيم القرابة وصلات الدم والعمل والمصالح والتشابه والإختلاف, لتحل محله مفاهيم جديدة تماماً. (56)

هذا النوع من العلاقات يحمل اصطلاح "المجتمعات الإفتراضية"

لقد باتت العلاقات الإفتراضية الموجودة داخل المجتمع الإفتراضي تمارس العديد من الأدوار في حياة المجتمع في السنوات الأخيرة, ويفضي بنا القول بأن تلك المجتمعات أصبحت تحتل الأهمية التي كانت تستحوذ عليها العلاقات الإجتماعية المباشرة بين أفراد المجتمع علي امتداد تاريخ المجتمعات البشرية.

وتنبع أهمية تلك المجتمعات من كونها تنشأ في فضاء افتراضي يتسم بنطاق أكثر اتساعاً من الحرية والإختيار, عند مقارنتها بالمجتمعات الواقعية التقليدية, فنحن عندما نتحدث عن تلك المجتمعات لا نجد أي أهمية للزمان أو المكان, بل تتراجع أهمية الكثير من العناصر الحاكمة لشبكة المجتمعات الواقعية التقليدية, مثل النوع والسن

والجنسية, فتلك المحددات تبدلت فاعليتها ليحل محلها عناصر أخري مثل اللغة ومهارة استخدام الكمبيوتر والبرامج الإلكترونية الحديثة.

أولاً : ماهية المجتمعات الإفتراضية:

أول ما ظهر مصطلح المجتمع الافتراضي كان بكتاب من تأليف هوارد رانجورد **Howard Rheingord** كان بعنوان (المجتمعات الافتراضية – الحياة في ظل التقدم التكنولوجي), وأعلن المؤلف من خلال هذا الكتاب إلي أن كل ما يحتاجه الفرد هو إيجاد فرصة لتكوين العلاقات مع جيرانه المتواجدين في أماكن نائية من القري العالمية ولو كانت تلك العلاقات من خلال شبكة عنكبوتية افتراضية, فالمجتمعات الإفتراضية عبارة عن مجموعة من الناس لهم مصالح مشتركة يتواصلون مع بعضهم البعض بشكل منتظم عبر أجهزة الكمبيوتر أو أجهزة أخري تمكن من التواصل التفاعلي, وتجمعهم في ذلك مواضيع عديدة. (57)

ثانياً : تعريف المجتمعات الافتراضية : (58)

يصعب تحديد تعريف دقيق للمجتمع الإفتراضي باعتباره مفهوماً يتعلق بشقين, الأول يتعلق بالمرمجيات المستخدمة من حيث تجهيزها واستعمالها, أما الشق الأخر فيشير إلي مجموعة معينة من مستخدمي الإنترنت, حيث يتكون هذا المجتمع حينما يكون مجموعة من الأفراد علي الخط, يتشاركون في تفاعل اجتماعي رقمي بشكل ما وله خصائص تكنو-اجتماعية.

ولو نظرنا في المعج الإعلامي لمحمد منير حجاب لوجدنا ان تعريف المجتمع الإفتراضي يتمحور حول فكرة مفادها ان المجتمع الإفتراضي هو عبارة عن مجتمع يتكون من أشخاص متباعدين جغرافياً ولكن الإتصال والتواصل بينهم يتم عن طريق الشبكات الإلكترونية, وينتج بينهم نتيجة لذلك الإحساس بالولاء والانتماء والمشاركة. (59)

كما أنها عبارة عن مجموعات ناشئة من خلال الأنترنت حيث يكون المستخدمين القديرة علي التعرف وخلق النقاشات لتشكيل وعي جمعي, وعلاقات شخصية عبر الفضاء الإفتراضي. (60)

فنجد من يعرفها بأنها مجموعة من الأشخاص اندمجوا في اتصالات وتفاعلات عبر الانترنت في حلقات النقاش أو منتديات المحادثة الإلكترونية, كما يعرف المجتمع الإفتراضي علي أنه عملية تقاسم فضاء للإتصال مع أفراد نعرفهم وغالباً ما يتم ه1ا في الوقت الحقيقي, وهو عبارة عن انعكاس للمجتمع الواقعي لكن لا يوجد فيه أناس فعليين واتصالات حقيقية كما هو في الواقع, أي أنها تحمل السمة الإفتراضية وهو عبارة عن جمهور من شتي أنحاء العالم جالسون أمام الشاشة للتواصل فيما بينهم. (61)

ثالثاً : نشأة المجتمعات الإفتراضية:

بعد ظهور شبكة الإنترنت ظهرت بعدها تباعاً المجتمعات الافتراضية ضمن صيرورة حتمية في إطار التطور الإجتماعي المتسارع وذلك نتيجة للتفاعل الإلكتروني المهم الذي بدأ في الظهور والحاجة إلي مجال أو بيئة محددة ومنظمة لتركيز هذا التفاعل. (62)

وإذا تم الاتفاق علي أن الإنترنت تكون نتيجة بنية فوقية مجتمعية تمتد فيها الكثير من الخطوط العامة التي تميز المجتمعات السائدة وتعتمد عليها لاستمرار وجودها فهذه المجتمعات ترث العديد من العناصر الثقافية من المجتمعات التي تمتد عبرها, فإن العديد من الباحثين في مجال علم الإجتماع كتبوا عن تطوير الكيانات الإجتماعية علي الإنترنت أو بالأحري المجتمعات علي الخط التي نشأت علي الأنترنت وتشكلت في فضائها وتلك الكيانات الإجتماعية الرقمية الجديدة تكونت في هيئة جماعات رقمية يتجاور ويتواصل من خلالها الأفراد. (63)

ويري كل من دي مور و ويجاند (De Moor and Weigand) أن تلك المجتمعات تمر بأربع مراحل أساسية هي مرحلة التجريب والتأسيس, ثم التدشين والإنطلاق, ثم مرحلة النمو من الداخل, ثم مرحلة النمو من الخارج.

رابعاً : أسباب ظهور المجتمعات الإفتراضية:

ظهرت هذه المجتمعات كنتاج عادي ومنطقي لكل التفاعلات الحاصلة داخل الفضاء الإفتراضي من نقاشات , مراسلات, واتصالات,... , وهذا ما جعلها تتطور بشكل كبير وواضح حيث أصبح لها أنواع عديدة ومتنوعة من حيث التقنيات والمحتوي و نوع المادة الإعلامية, وقد ظهرت المجتمعات الإفتراضية كحاجة وبديل تعكس التطور العلمي والتكنولوجي والإجتماعي, في مختلف نواحي الحياة اليومية للإنسان المعاصر, وذلك بإعطاء الطابع المستقبلي للحياة الإجتماعية وتحولها من طابعها الطبيعي إلي طابعها الإفتراضي وإحداث تغيير في طبيعة الحياة الإجتماعية وإبراز التأثر بالتقدم التقني والتكنولوجي ويمكن أجمال أسباب ظهور هذا النوع من المجتمعات في مضامين :(64)

1- اكتساح الفضاء الإلكتروني في جميع مجالات الحياة البشرية (اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً)

2- فقدان المجتمعات الطبيعية لدورها الترفيهي وتراجع دور الأماكن التقليدية في إيجاد مساحات للتفاعل والتواصل البشري, وهذا ما يفتح الباب علي مصرعيه أمام تلك المجتمعات الإفتراضية.

3- دوافع الحركة الألية والتفاعل المجتمعي اليومي بنشاطاته الربحية من أهم دوافع تطوير المجتمعات الإفتراضية, فهذه البيئة جعلت التعاملات الربحية أكثر بسهولة ويسر.

4- الوصول إلي المعلومات المتاحة عن الأدلة المتوفرة وإرسال التعليقات والملاحظات والتعرف علي الأحداث المتنوعة بصورة ألية, والوصول إلي المعلومات بكل تنوعاتها ووفرتها, فالمشاركون في صناعة ونشر المعلومات هم مستخدمون من كل أنحاء العالم بمختلف الأعمار والثقافات والخبرات.

5- الشعور بالإنتماء إلي الجماعات من خلال عضويتها ومتابعة ما يحدث فيها وسهولة التفاعل مع أفرادها ومع أحداثها.

6- الشعور بالقدرة علي التأثير في تلك الجماعة أو المجتمع الأفتراضي من خلال ردود الأفعال التي يتلقاها الفرد من بقية أعضاء الجماعة أو أفراد المجتمع الإفتراضي, وكذلك التأثر بما يحدث في ذلك المجتمع.

7- تبادل الدعم واشباع الحاجات النفسية والشعورية والارتباط الوجداني بأفراد الجماعة من خلال تبادل التهانئ والتعازي والمواساة والنصيحة.

8- الحضور والتواجد, وهم نقيض العزلة والغياب اللذين نتجا عن هيمنة القيم المادية وانشغال الجميع بتأمين أسباب الحياة, ولا يتصور أن يبقي المرء طويلاً في مجتمع إفتراضي ليس فيه من يتواصل معه فلا يسمع فيه إلا صدي نقرة علي لوحة المفاتيح.

9- الثقة, فلا يستطيع الفرد أن يشعر بالإنتماء إلي جماعة أو مجتمع لا يثق في أحد من أفراده ولا يشعر بالأمان فيه, من هنا تبقي المجتمعات الإفتراضية في مجملها هشة ما لم تتاسس علي علاقات سابقة في العالم الواقعي وما لم تحفظ سكانها من تطفل المتطفلين كما لا بد أن يبذل أفراد تلك المجتمعات الإفتراضية جهداً للتحقق من هويات من يتفاعلون معهم.

10- الخلفية المشتركة من خلال ازدياد قوة العلاقات الإفتراضية كلما تأسست علي خلفية مشتركة في العالم الواقعي أو علي اهتمامات وهويات وميول مشتركة, فقد تنشأ المجتمعات الإفتراضية حول قضية أو نجم من نجوم الراضو والفن.

خامساً : خصائص المجتمعات الإفتراضية:

باعتبارها مجتمعات تحاكي المجتمعات الطبيعية وتتمثل بصورة أكبر منها فإنه لابد من وجود ما يميزها عنها, وسنحاول الإلمام بمختلف السمات التي يمكن أن توفر للمجتمعات الإفتراضية قدراً من الخصوصية ضمن الملاحظات الاتية:

1- الإلتزام الشخصي الذي يبديه الأفراد داخل المجتمعات الإفتراضية, حيث يقوم الأفراد بإتباع القواعد والإلتزام بها بصورة شخصية ذاتية بحسب رغبات كل فرد,

وفقاً لقوانين تحدد أنماط سير التصرف وردود الأفعال, بما يبرز درجة كبيرة من الحركية داخل هذه المجتمعات والقدرة علي الإتصال وسرعته والمساحة الكبيرة من حرية التعبير عن الذات, وعدم الإحساس بالسلطوية الذي ينتج قدراً كبيراً من التفاهم والانسجام وذلك داخل العقل الجمعي الإلكتروني.

2- إن ألية التكنولوجيا تتيح كل امكانيات تمظهر الأفراد, وذلك بالسهولة واليسر المناسبين بمختلف الفئات البشرية كباراص وصغاراً, وهو الأمر الذي يتوفر في المجتمعات الإنسانية الطبيعية. (65) وهذا ما يخلق درجة كبيرة من المساواة الإفتراضية تحقق نوعاً من الذات الإنسانية في أوسع نطاقات التمظهر الشخصي.

3- المجتمعات الإفتراضية بشكل عام مفتوحة للجميع كما أنه يمكن تعديلها وهي خاصية مهمة جداً في هذا النوع من المجتمعات.

4- يمكن اعتبار التمازج بين الثقافات الإنسانية من أكثر النتائج تأثيراً في التفاعل الذي يحدث داخل المجتمعات الإفتراضية, الأمر الذي يزيد من قوة الفكر البشري العالمي ويرفع من مستوي الذكاء الكوني الذي يتطور بتطور العقل الإنساني, وتطور أدوات وتقنيات الإتصال والتزاوج الحاصل فيما بينهم.

5- التطور الإجتماعي داخل المجتمعات الإفتراضية يحدث بسرعة خيالية بالمقارنة بالتطور الإجتماعي داخل المجتمعات الطبيعية, وهذا بسبب تطور قنوات الإتصال وقواعد التواصل والتفاعل داخل هذه المجتمعات.

6- تتميز المجتمعات الإفتراضية بالعالمية أو الكونية, حيث يشارك فيها الأفراد من جميع أنحاء العالم. (66)

7- تبني المجتمعات الإفتراضية علي المصالح المشتركة والإهتمامات, ومع التفاعل الإجتماعي الإفتراضي المتسارع والمتزاحم, تظهر علاقات جديدة أكثر حميمية.

8- فيما يخص بناء العلاقات الإجتماعية الإفتراضية والتفاعل الإجتماعي فإن هناك رايين أحدهما يقول إن التكنولوجيا لم تلغ التفاعل المباشر وجهاً لوجه بل هي امتداد وتكمله له, وهناك من يري ان العلاقات والتفاعل الإجتماعي علي الشبكة قد حل محل التفاعل المباشر, فهذا الرأي يحذر من عزل أفراد المجتمع الواحد, فداخل الفضاء الإفتراضي لا يمكن أن نري بعضنا البعض كما لا يمكننا من التعرف علي نوع الجنس والعمر والأصل القومي والعرقي بكل دقة, ولا حتي المظهر المادي ما لم يكن الشخص يريد أن يجعل كل هذه المعلومات من الخصائص العامة.

9- يتميز أفراد المجتمعات الإفتراضية أنهم متجانسون في غالب الأمر إلي حد كبير باعتبار بناء هذه المجتمعات علي أساس الإهتمامات المشتركة بين هؤلاء الأفراد , فمن المحتمل أن يكون أفرادها غير متعاونين شخصياً فيما بينهم.

10- أصبح للقضايا داخل المجتمعات الإفتراضية طابع كوني, ولم تعد كل دولة أو جماعة طبيعية تحتفظ بخصوصية قضاياها بل أصبح لجميع المستخدمين حق إبداء الرأي في قضايا محلية, فالمستخدم هو مواطن كوني يبدي رأيه في جميع القضايا مهما تعددت جغرافيته أو انتماءه.

11- تكون المجتمعات الإفتراضية في غالب الأمر امتداداً لمجتمعات حقيقية طبيعية موجودة في الواقع الفيزيائي أو تكون ممثلة افتراضياً فقط, حيث تتكون داخل الفضاء الإفتراضي بمقومات مستحدثة من الطابع التحليلي.

12- من المميزات التي تتميز بها المجتمعات الإفتراضية هي أنها تعتمد علي التنظيم التصاعدي من الأدني إلي الأعلي, فالكل يستطيع تنظيم المجتمع والإضافة لنظمه وقواعده وعاداته.

13- تجعل المجتمعات الإفتراضية نوعاً من الثقافة السيبرانية التي تختلف فيها عادات وطقوس جديدة وأدوار اجتماعية مستحدثة ولغات موحدة جديدة والرموز اللغوية والإشارات الخاصة بما في ذلك رسومات الوجوه والكلمات المشتركة , وهي تعبير عن الحالات النفسية التي تخدم المستخدم

14- تتميز المجتمعات الإفتراضية بعدم حضور أفرادها الفيزيائي وبالتالي عدم وجود التفاعل المباشر وجهاً لوجه, وبالتالي عدم توفر الإتصال غير اللفظي والذي له دور كبير في طبيعة ونوعية الإتصال وهذا ما يؤثر بدوره في العلاقات الإجتماعية. (67)

سادساً : أهمية المجتمعات الافتراضية:

يعد التجمع الرقمي نوعاً من التقرب بين فئات عديدة من فئات المجتمع المهمشة والتي تغيب أو تعجز عن أداء أدورها الإجتماعية الطبيعية, إذ تجبرها عوامل وظروف علي البقاء بعيداً عن الأضواء وتجعل من الصعب التعبير عن إرادتهم أو أرائهم وتكوين صداقات جديدة داخل الفضاءات العامة في المجتمعات الطبيعية التقليدية, لهذا فإن المجتمعات الإفتراضية تحاول أن تجعل نت هذه الفئات فاعلة وقادرة علي تجاوز النقائص التي تقلل من قدراتهم الإجتماعية, فداخل هذه المجتمعات يجدون فرصة في إنشاء علاقات اجتماعية والإنصهار في المجتمع الرقمي وبالتالي تجاوز جميع العقبات التي قد تحولهم لعاهات اجتماعية أو تشكل لديهم مشاكل نفسية...

– تسري المعلومات في المجتمعات الإفتراضية من الأسفل للأعلي وفي كل الإتجاهات وعبر جميع القنوات والتقنيات المتاحة في هذه المجتمعات, وهذا ما يسمح لجميع الأفراد المشكلين لهذا المجتمع الحق في انتاج المعلومة ونشرها كما سهل من انتشارها.

– سمحت المجتمعات الرقمية من التأثير في الحياة الطبيعية والحراك علي جميع الأصعدة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية وحتي الثقافية, إذ حققت هذه المجتمعات نوعاً من الإشباع للحاجات الإجتماعية في التعارف والتواصل وتشارك الإهتمامات المختلفة للمشتركين مهما اختلفت أعمارهم أو جنساتهم أو ديانتهم, فتشكل نوع من التألف الإجتماعي والتكنولوجي الجديد.

– توفر المجتمعات الإفتراضية جواً من التشارك, وهذا ما يحتاجه أي مجتمع لضمان رقيه والإرتقاء بتفكير أفراده كما تترك قواعد وأخلاقيات المجتمعات الإفتراضية الباب مفتوحاً لجميع أشكال القواعد والمعايير الرقمية المحتملة. (68)

سابعاً : مشاكل المجتمعات الإفتراضية:

بالرغم من الدور الذي لعبته المجتمعات الإفتراضية من خلال إزالتها لطابع المقاطعة بين الأجناس والأعراق واللغات, وجعلت العالم أكثر انفتاحاً, لكنها في نفس الوقت شكلن نوعاً من التجمعات والتكتلات أكثر حدة في طباعها التكنو-اجتماعي ومع أن المجتمعات الإفتراضية حديثة العهد وبالرغم من كونها حلت العديد من المشاكل بطباعها التقني الفائق فإن لها مشاكل عدة, ولعل أهمها هو وجود تجمعات متطرفة دينياً أو فكرياً أو عرقياً وتكون في أغلب الأحيان امتداد المجتمعات موجودة في الحياة الطبيعية أو هي مولودة أساساً داخل الفضاء الإفتراضي, حيث تقوم هذه المجموعات بنشر أفكار ومعتقدات متطرفة كجماعات كره الديانات, ومجتمعات الإنتقام الإفتراضي,....إلخ

وهناك الكثير من الباحثين من يعتقد بأن المجتمعات الإفتراضية تقوم بالتقليل من المساندة الإجتماعية أو التضامن الإجتماعي, فهي تقوم باختزال المشاعر وتجعلها مجرد تفاعل الكتروني مع صور وتعليقات, وتزيد بشكل كبير من فرص الإكتئاب والوحدة, ومعظم الناس يستعملون الإنترنت بغرض التحاور والبريد الإلكتروني, وليس فقط لعزل أنفسهم في المعلومات الإلكترونية كما وجدوا علاقة مباشرة وعكسية بين مستوي استعمال الإنترنت ومدي النشاط الإجتماعي والسعادة. (69)

فمع ظهور الإنترنت تطرقنا إلي مصطلح يسمي بالعزلة التفاعلية أو الوحدة التفاعلية (70) فهذا يشكل نوعاً من التناقض الإجتماعي بين الشخصية التي يمتلكها الفرد وتلك التي يثيرها علي الشبكة الإجتماعية, فالعوالم الإفتراضية النصية والأيقونة التي يحتويها الأنترنت تقوم بتقريب المسافات وخلق علاقات بقدر ما تلهي الأفراد عن علاقاتهم الواقعية. ومن جهة أخري نجد أن من يدافع عن العلاقات التي تنشأ بفعل المجتمعات الإفتراضية, حيث يعتبرون أن المجتمعات الإفتراضية تفتح أفاقاً أرحب للتبادل ونسج العلاقات مع الأخرين وهم يعللون دفاعهم عن هذه المجتمعات الجديدة بأن مستخدمي الإنترنت ليسوا أفراد منعزلين وإنما ينتمون إلي جماعات إفتراضية يقع فيها تبادل المعلومات حول أفضل المواقع, فالأفراد في الحقيقة ليسوا معزولين أو

مصابين بالإغتراب, فالعلاقات الإجتماعية التي تنسج داخل هذه المجتمعات هي علاقات مختارة إرادياً وليست علاقات مفروضة بحكم الجغرافيا أو القرابة العائلية أو علاقات العمل, كما هو الشأن في بقية العلاقات الإجتماعية التقليدية, فالشبكة العنكبوتية مكنت الأفراد من الدخول في علاقات مع من يريدون ومتي يريدون, ويعتبر هذا التحول تحولاً سوسيولوجياً جوهرياً أدخلته الشبكة العنكبوتية علي العلاقات الإجتماعية.

ثامناً: الفرق بين المجتمعات الإفتراضية والمجتمعات الواقعية:

يتصف المجتمع التقليدي الواقعي بأنه مجتمع حاوي أي أنه يحتوي علي نظاماً معيناً وأنساقاً اجتماعية مميزة, أما المجتمع الإفتراضي فإنه مجتمع متشعب والكل يرسم فيه شيئاً من تقاليده وأعرافه ومعاييره, فالكل يشكل فيه شخصيته في نفس الوقت الذي يقوم بالمشاركة في صنع شخصية المجتمع فهو مجتمع مفتوح الفئات.

وتعتبر المجتمعات الكلاسيكية مجتمعات محلية مهما كانت سعتها ومجالها الجغرافي وكذلك عدد المنتسبين إليها, أما المجتمعات الإفتراضية فهي مجتمعات عالمية كونية يمكن لأي فرد مهما كانت مكانته أو انتماؤه أو لغته أو دينه, كما تعتمد المجتمعات الإفتراضية علي التنظيم التصاعدي من الأدني إلي الأعلي, فهي عبارة عن مصعد اجتماعي, وهذا ما يميز المجتمعات الإفتراضية علي الواقعية. **والجدول الأتي يبين بعض الفرق بين المجتمعات الواقعية والمجتمعات الإفتراضية: من إعداد الباحث**

المجتمعات الكلاسيكية	المجتمعات الافتراضية
واقعية موجودة منذ وجود الإنسان	**افتراضية ظهرت بظهوروانتشار الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي**
الحضور فيها يكون فيزيائيا	**لا يوجد حضور فيزيائي**
محصورة بحيز جغرافي	**غير محصورة بحدود جغرافية**
أفرادها متجانسون غالبا	**أفرادها غير متجانسون**
حرية التعبير مضبوطة بنظم وقوانين	**حرية التعبير مطلقة نسبيا**
أفرادها لا يجتمعون بالضرورة لمصالح وأهداف مشتركة	**أفرادها لا يجتمعون إلا لاهتمامات وأفكار مشتركة**
لا يشترط وجود وسائط تقنية في الاتصال بين أفرادها	**توجد وسائط تقنية ولا يتحقق الاتصال إلا بها**
محلية ولها نطاق جغرافي محدد	**غير محددة بنطاق جغرافي وعالمية كونية**

تعقيب:

أدت شبكات التواصل الإجتماعي إلي تغيير جذري في كيفية تشكيل النسيج الإجتماعي و النفسي, وبناء العلاقات وإمكانية استمرارها, فبعد أن كان في الماضي البعد الجغرافي يلعب دوراً كبيراً في تكوين الفرد لعلاقاته, أي أن التقارب الجغرافي والإحتكاك اليومي في مختلف الأماكن هو الذي تكون علي أساسه هذه الروابط

الإجتماعية, فقد أصبح الأمر مختلفاً تماماً مع التطورات الحاصلة في تكنولوجيا الإتصال الحديثة لا سيما شبكات التواصل الإجتماعي, فيمكن لأي شخص أن يتعارف مع أفراد من مختلف أنحاء العالم ويكون معهم علاقة, حتي وإن كان بعيداً عنهم جغرافياً أو لم يلتق معهم أبداً وجهاً لوجه.

ورغم هذا التغير في طبيعة العلاقات وكيفية تشكلها يبقي الكثير من الكتاب والمختصين يرون أن هذا النوع الجديد من الروابط ما هو إلا امتداد للروابط القائمة والكلاسيكية, أي أنها تختضع تقريباً لنفس المعايير كما نجد من يعارض هذا الطرح وبين هذا وذاك يبقي الجدل قائماً ومتوقفاً علي حسب خصوصية وهوية المجتمع المعني بتكوين وتشكل ذلك النوع من العلاقات.

المبحث الثالث: النتائج العامة

يتبلور الهدف الرئيسي للدراسة الراهنة في التعرف علي كل من الإثنوغرافيا وطبيعة الجمهور المستخدم لمواقع التواصل الإجتماعي, فبالنسبة للإثنوغرافيا فيتم تحديد و تعريف النقاط الاتية: التعرف على الآثار النفسية الحادثة اثناء ممارسة نشر الحياة الخاصة بالأفراد ، والتعرف على الآليات المستخدمة لتخفيف الآثار السلبية المتعلقة بمثل هذه الممارسات ، وهل تأخذ مثل هذة المنشورات هؤلاء الأشخاص إلى أبعاد أخرى مثل الانتحار أو الجريمة؟ ، وهل انتشار تلك المنشورات تعمبل على تجسيد اتجاهات الفرد أو الجماعة نحو جماعات وطوائف أخرى ، وهل يتمثل بمشاعر الكراهية تجاه أفراد معينة ، والتعرف علي الأصول الفلسفية والنظرية للمنهج الإثنوغرافي ، وتحديد المعايير والخصائص المنهجية للمنهج الإثنوغرافي ، والتعرف علي الفوائد والمزايا التي يحققها استخدام المنهج الإثنوغرافي في ميادين الإعلام والإتصال ، وتحديد الصعوبات والمعوقات التي تواجه تطبيق المنهج الإثنوغرافي في الإعلام والجامعات والأكاديميات العربية.

أما بالنسبة لطبيعة الجمهور المستخدم لشبكات التواصل الإجتماعي, فيتم التعرف علي طبيعة المشاركة المجتمعية عبر مواقع التواصل الإجتماعي بالتطبيق علي عينة من الجمهور المتفاعل عبر الفيس بوك, و يتم تحقيق ذلك من خلال مجموعة من الأهداف الفرعية التالية والتي تفيد التعرف علي طبيعة الأفراد المتفاعلة عبر شبكة الإنترنت وخصائصهم (السن, المهنة, المستوي التعليمي, المستوي الاقتصادي,...) ، ومعدل تردد واستخدام العينة لشبكات التواصل الإجتماعي ، وتحديد خصائص وأنماط الجماعات التي تسعي أفراد العينة للإنضمام إلي الشبكات الإجتماعية ، ومجالات مشاركة أفراد العينة في المجال الإفتراضي عبر الشبكات الإجتماعية ،والمعوقات التي تواجه أفراد العينة في المجال الافتراضي عبر الشبكات الإجتماعية.

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التي تستهدف وصف الظاهرة, وسوف تعتمد الدراسة علي منهج المسح الميداني والمنهج التحليلي للأفراد المستخدمين للمواقع المختلفة علي شبكة الإنترنت.

وتعتمد الدراسة علي منهج المسح الميداني لعينة عشوائية من مستخدمي الإنترنت قوامها (250) مفردة باختلاف خصائصهم الديموغرافية.

بعد هذا الاستعراض المفصل للنتائج التي أسفر عنها تطبيق الدراسة الميدانية بالاستبيان على المبحوثين عينة الدراسة يمكن استخلاص النتائج التالية:

1. توزع المبحوثون عينة الدراسة من حيث خصائصهم الديموغرافية على الفئات المختلفة من حيث النوع والإقامة والسن والحالة التعليمية والحالة الاجتماعية والمهنة.

2. ارتفعت كثافة استخدام المبحوثين مواقع التواصل الاجتماعي، وهو ما ظهر في ارتفاع مدى الاستخدام، وزيادة المعدل الاستخدام الدوري، وعدد ساعات الاستخدام اليومي، وبداية الاستخدام منذ فترات طويلة.

3. جاءت الهواتف المحمولة في مقدمة الوسائط المستخدمة من جانب المبحوثين للدخول إلى مواقع التواصل الاجتماعي، يليه من حيث عدد المستخدمين التابلت.

4. جاء موقع فيسبوك في مقدمة مواقع التواصل الاجتماعي التي يكثر استخدام المبحوثين لها، إذ استخدمها جميع عينة الدراسة، يليه موقع يوتيوب، ثم موقع انستجرام.

5. تنوعت دوافع المستخدمين من استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بين دوافع طقوسية (كالترفيه) واخرى نفعية (كالمعرفة والبحث عن عمل).

6. مثَّلت مواقع التواصل الاجتماعي بدرجة تتراوح بين كبيرة ومتوسطة مصدراً رئيسياً للحصول على المعلومات.

7. اتسم استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على اختلافها بين غالبية المبحوثين عينة الدراسة بالسهولة بدرجة كبيرة.

8. يزيد عدد صفحات فيسبوك التي يستخدمها المبحوثون عينة الدراسة، حيث يستخدم غالبيتهم أكثر من أربع صفحات.

9. يرى غالبية المبحوثين من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي أن استخدامهم لها يتم بصورة صحيحة، كما يعتقد غالبيتهم ف يالاستفادة الكبيرة من استخدام هذه المواقع.

10. جاءت الموضوعات الرياضية في مقدمة الموضوعات التي يفضل المبحوثون متابعتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، تليها الموضوعات الفني، ثم الموضوعات الخاصة بالجرائم والحوادث.

11. ارتفع تقييم غالبية المبحوثين لمواقع التواصل الاجتماعي باعتبارها تزودهم بالأخبار والمعلومات، كما أنها كانت بالنسبة لهم وسيلة من وسائل البحث عن عمل واكتساب مهارات جديدة.

12. تمتعت مواقع التواصل الاجتماعي بشكل عام ببعض الإيجابيات منها فتح خدمات متعددة [التجارة– فرص العمل– التسويق– الإعلانات عبر الإنترنت]، ومعرفة كل جديد، والانفتاح على الثقافات المتعددة.

13. يتابع المبحوثون حسابات وصفحات الشخصيات العامة من (فنانون، رياضيون، سياسيون، غيرهم...) على مواقع التواصل الاجتماعي على اختلاف درجة هذه المتابعة.

14. ترجع متابعة المبحوثين حسابات وصفحات الشخصيات العامة من (فنانون، رياضيون، سياسيون، غيرهم...) على مواقع التواصل الاجتماعي لعدة أسباب منها ملء الفراغ، ومتابعة أعمالهم المتخصصة، وللتعرف على حياتهم الخاصة.

15. مالت غالبية العينة إلى اعتبار منشورات أصحاب الطبقات العليا في المجتمع تعبر دائمًا أو إلى حد ما عن الثراء الفاحش، واتجه بعضهم إلى اعتبار هذا التناول لأسلوب معيشتهم علي صفحات التواصل الاجتماعي لمشاركة الأصدقاء الفرحة واليوميات يتم دون أي قصد.

16. اتفقت غالبية العينة على أن مثل هذه المنشورات هي خطوة لحدوث حالات من الاكتئاب التي يعيشها معظم الشباب اليوم، كما رأوا أن رصد ومتابعة حياة الأخرين عبر مواقع التواصل الاجتماعي لا يضيف فكرًا عميقًا عن المجتمع.

17. سجل المبحوثون عددًا من السلبيات التي تظهر نتيجة لنشر الحياة الخاصة علي صفحات التواصل الاجتماعي، منها السعي لمكاسب مادية بطرق غير شرعية وكراهية الحكومات وزيادة اللوم علي الأسرة (الأب والأم).

18. كانت المنافسة بين الشخصيات العامة من (فنانون، رياضيون، سياسيون، غيرهم...) سببًا لتناول غالبيتهم حياتهم الشخصية وأسلوب معيشتهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، تليها الشهرة، ثم التباهي.

19. لم يؤيد غالبية المبحوثين الاعتقاد في ضرورة وضع قوانين لمنع نشر حياة الأشخاص الخاصة من منازل وتنزه وما يمتلكون من سيارات وأشياء فاخرة.

20. معنوية العلاقة الارتباطية بين كثافة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي والتأثيرات النفسية الناشئة عن هذا الاستخدام.

21. معنوية العلاقة الارتباطية بين دوافع استخدام مواقع التواصل الاجتماعي والتأثيرات النفسية الناشئة عن هذا الاستخدام.

22. معنوية العلاقة الارتباطية بين تقييم حجم الاستفادة من استخدام مواقع التواصل الاجتماعي والتأثيرات النفسية الناشئة عن هذا الاستخدام.

23. معنوية العلاقة الارتباطية بين تقييم مستوى أداء مواقع التواصل الاجتماعي والتأثيرات النفسية الناشئة عن استخدامها.

24. معنوية الفروق بين المبحوثين عينة الدراسة بحسب بعض خصائصهم الديموغرافية (النوع، والسن، والحالة التعليمية) في التأثيرات النفسية الناشئة عن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي.

25. عدم معنوية الفروق بين المبحوثين عينة الدراسة بحسب بعض خصائصهم الديموغرافية (الإقامة، والحالة الاجتماعية، والمهنة) في التأثيرات النفسية الناشئة عن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي.

توصيات الدراسة :

1- ضرورة توعية الأفراد بإيجابيات وسلبيات مواقع التواصل الاجتماعي .

2- أهمية نشر ثقافة تكنولوجية تزيد من درجة الوعي لدى الأفراد بما يحفزهم على ممارسة حقوقهم في المشاركة المجتمعية الفاعلة .

3- أن تتبنى مؤسسات المجتمع التربوية والاجتماعية والدينية برامج وإجراءات من شأنها التوعية حول مخاطر وأضرار مواقع التواصل الاجتماعي .

4- يجب وضع قواعد وضوابط ووسائل تكنولوجية حديثة لمراقبة المواقع الممنوعة والهدامة بحيث لا تمكن المستخدمين للشبكة الدخول إليها .

5- دمج ما يتعلق بالتوعية الإعلامية والتربية الإعلامية وخاصة فيما يتعلق بمواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت في المناهج التعليمية.

6- تفعيل دور وسائل الإعلام للتوعية من الآثار والمخاطر الناجمة عن الاستخدام المفرط لمواقع التواصل الاجتماعي.

الهوامش والمراجع:

(1) أحمد الخشاب ، انثروبولوجيا, الطبعة الأولي, (القاهرة : دار المعارف, 1970).
(2) محمد حسن غامري ، طريقة الدراسة الانثروبولوجية الميدانية, (الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث, 1985).
(3) وسام أحمد العثمان ، المدخل إلي الأنثروبولوجيا,(دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع, 2002).
(4) محمد عبده محجوب ، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية(منهج وتطبيق) , (الكويت: وكالة المطبوعات, 1980).
(5) Dictionnaire encyclopedique des science de Information et de la communication, edition ELLIPS, paris, p411
(6) وليد رشاد زكي ، نظرية الشبكات الاجتماعية من الايديولوجيا إلي الميثودولوجيا, سلسلة قضايا استراتيجية ، (القاهرة : المركز العربي لأبحاث الفضاء الالكتروني, مارس, 2012)، ص13
(7) Patricia Drentea, Jennifer L. Moren-Cross , Social capital and social support on the web: the case of an internet mother site , sociology of Health & illness , Volume27, Issue7, November 2005.
(8) محمد أبو المعاطي علي ، الإتجاهات الحديثة في البحوث الكمية والبحوث الكيفية ودراسات الخدمة الإجتماعية, سلسلة اتجاهات حديثة في الخدمة الإجتماعية ، (الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث, 2014).
(9) رجاء ابو علام ، مناهج البحوث في العلوم التربوية والنفسية, (القاهرة : دار النشر للجامعات, 2001).
(10) أحمد أوراغي: الدراسات الإنثروبولوجية في جامعة تلمسان الواقع والأبعاد, ورقة عمل مقدمة للملتقي الأول حول وضعية البحث الإنثروبولوجي في العالم العربي, في الفترة من 9-10 ديسمبر, الجزائر, 2007
(11) علي عبدالرازق ومحمد أبو جبل ، المناهج الكمية والكيفية في علم الإجتماع, (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية, 2012).
(12) جوبو جيامبيترو ، إجراء البحث الإثنوغرافي, ترجمة: محمد رشدي, الطبعة الاولي, (القاهرة : المركز القومي للترجمة, 2014).
(13) وليدة حدادي ، أدوات البحث الكيفي في الدراسات الإعلامية, مجلة المعيار, المجلد 23, العدد47, الجزائر, 2019.
(14) المرجع السابق.
(15) كمال زيتون ، تصميم البحوث الكيفية ومعالجة بياناتها إلكترونياً, (القاهرة: عالم الكتب,2006).
(16) رجاء أبو علام: مرجع سابق
(17) جوبو جيامبيترو ، إجراء البحث الإثنوغرافي ، مرجع سابق, ص27
(18) Miles & Huberman: Qualitative Data Analysis, saga Publication, USA, 1999
(19) عامر قنديلجي ، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليديو والألكترونية, (عمان : دار المسيرة للنشر والتوزيع, 2007).
(20) وليدة حدادي ، مرجع سابق, ص66

(21) Heather Horst and all, rethinking ethnography: an introduction, Media Information Australia, p86
(22) Markus Schlecker and Eric Hirsch: ethnography and the crisis of context in studies of media, science and technology, SAGA publication,London, 2011, p70
(23) P. Atkinson & M. Hammersley: ethnography and participant observation, handbook of qualitative research, thousand Oaks, CA:Sage. London, 1994, p:248
(24) فهد بن السلطان سلطان ، المنهج الإثنوغرافي"رؤية بحثية تجديدية", (السعودية : جامعة الملك سعود، د.ت), ص12
(25) Stefanos Mantzoukas: exploring ethnographic genres and developing validity appraisal tools. Journal of research in nursing, USA, 2010, p422
(26) Creswell: Qualitative inquiry and research design: choosing among five approaches, second edition, Sage publication, USA, 2006, p59
(27) ماتلار أرمان وميشال ، تاريخ نظريات الإتصال, ترجمة: نصر الدين العياضي و الصادق رابح, الطبعة الاولي, (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية, 2005).
(28) دينيس ماكويل وسفن ويندل ، نماذج الإتصال في الدراسات الإعلامية, ترجمة: حمزة أحمد أمين , الطبعة الأولي, (الرياض: مطابع الفرزدق التجارية, 1997).
(29) علي قسايسية ، جمهور وسائط الإتصال ومستخدموها, الطبعة الاولي, (الجزائر : دار الورسم للنشر والتوزيع, 2012)، ص: 124 .
(30) المرجع السابق ، ص: 125.
(31) محمد عبده محجوب ، اثنوغرافيا المجتمعات البدوية العربية, ط1, (الاسكندرية : دار الوفاء للطباعة والنشر, 2008).
(32) كريس باكر ، التليفزيون والعولمة والهويات الثقافية, ترجمة: علاء أحمد إصلاح, الطبعة الأولي, (القاهرة : مجموعة النيل لعربية للنشر والتوزيع, 2006)، ص196
(33) أحمد بن مرسلي ، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والإتصال, مرجع سابق ، ص 170-196
(34) أحمد محمد صالح ، اثنوغرافيا الإنترنت وتداعيتها الإجتماعية والثقافية والسياسية, (القاهرة : دار الهلال, 2002)، ص34
(35) عاطف وصفي ، الاثنروبولوجيا الإجتماعية, (لبنان : دار النهضة العربية للطباعة والنشر, 2004)، ص ص166-167
(36) روبرت إيمرسون وآخرون، البحث الميداني الُنوغرافي في العلوم الإجتماعية, ترجمة:هناء الجوهري, (القاهرة : المركز القومي للترجمة, 2010, ص162
(37) عاطف وصفي ، الانثروبولوجيا الثقافية, (بيروت : دار النهضة العربية, 1971).
(38) المرجع السابق, ص168.
(39) Jock Hermes: the ethnography turn, the histories and politics of new media research, Department , Building University of Leicester University Road Leicester,, p14
(40) عاطف وصفي ، مرجع سابق, ص ص170-171
(41) علي قسايسية: مرجع سابق, ص206

(42) فهد بن السلطان سلطان ، مرجع سابق, ص14
(43) فتيحة بوغازي ، أهمية الملاحظة والمنهج الإثنوغرافي في العلوم النفسية والإجتماعية, (الجزائر : مركز جيل البحث العلمي, 2016)، ص ص29-30
(44) دينيس ماكويل وسفن ويندل ، نماذج الإتصال في الدراسات الإعلامية, مرجع سابق ، ص217
(45) أرمان ماتلا وميشال ، تاريخ نظريات الإتصال, ترجمة: نصر الدين العياضي والصادق رابح, الطبعة الاولي, (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية, 2005)، ص122
(46) روبرت ألان ، التليفزيون والنقد المبني علي القارئ, ترجمة: حياة جاسم محمد, سلسلة دراسات إعلامية, (تونس: الألكسو, 1997)، ص23
(47) أرمان ماتلا وميشال ، تاريخ نظريات الإتصال ، مرجع سابق ، ص: 125.
(48) كريس باكر ، التليفزيون والعولمة والهويات الثقافية, مرجع سابق , ص196
(49) Abderrahmane Ezzairi, Approch ethnographique de la reception directe par satellite des televisions transnationales en milieu familial marocain, these doctorat, deparretment de communication faculte des arts et des science, universite de montreal, Canada, Decembre, 1998, p11
(50) علي قسايسية ، مرجع سابق, ص ص : 204 – 206 .
(51) Patrick D and Marwan M: International communication, Ethnography, and the challenge of Globalization, International communication Association, No33, 2003, p304
(52) رضوان بوجمعة ، أشكال الإتصال التقليدية في منطقة القبائل : محاولة تحليل انثربولوجي , رسالة دكتوراه غير منشورة , (جامعة الجزائر : كلية العلوم السياسية والإعلام ، قسم علوم الإعلام والاتصال , 2007)، ص29
(53) راشد بن حسين عبدالكريم ، البحث النوعي, مجلة المعرفة ، العدد150, (السعودية : وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية, , 2007) ، ص33
(54) محمد مصطفي عبدالسميع ، البحث الكيفي ملامح وتطبيقات, ورقة عمل مقدمة للندوة والورشة التدريبية الإقليمية حول البحث الكيفي, القاهرة, مصر, ص33
(55) كمال زيتون ، تصميم البحوث الكيفية ومعالجة بياناتها إلكترونياً, مرجع سابق ، ص306
(56) Kathy Egea , Relationship Building in Virtual Teams : An Academic Case Study , Proceedings of the 2006 Informing Science and IT Education Joint Conference , central Queensland university, Rockhampton, Australia , 2006.
(57) Maria Valtersson , Virtual Communities , department of information, Sweden university , 2009 , p78
(58) Available at: http://www.informatic.umu.se/nlrg/valter,html
(59) محمد منير حجاب، المعجم الإعلامي, (القاهرة : دار الفجر, 2004)، ص470
(60) أحمد محمد صالح ، اثنوغرافيا الأنترنت وتداعيتها الاجتماعية والثقافية والسياسية, مرجع سابق ، ص34
(61) علي محمد رحومة ، تنمية المجتمعات الإفتراضية – عوامل نجاح جديدة للتطوير الشبكي التكنو-اجتماعي, معهد النفط الليبي متاح علي http://newmediaausersethnography.weebly.com/uploads/5/4/6/8/5468648/

(62) علي محمد رحومة ، علم الإجتماع الألي : مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 2008) , ص160

(63) أحمد محمد صالح ، مرجع سابق, ص ص26-27

(64) علي محمد رحومة ، علم الاجتماع الألي, مرجع سابق, ص ص90-92

(65) المرجع السابق, ص313

(66) إبراهيم بعزيز ، منتديات المحادثة والدردشة الإلكترونية : دراسة في دوافع الإستخدام والإنعكاسات علي الفرد والمجتمع, رسالة ماجستير غير منشورة, (جامعة الجزائر : كلية علوم الإعلام والإتصال, 2008)، ص74

(67) ابراهيم بعزيز ، مرجع سابق, ص67

(68) علي محمد رحومة ، علم الإجتماع الألي, مرجع سابق, ص159

(69) أحمد محمد صالح ، مرجع سابق, ص83

(70) Solitudes Interactive والذي قد هذا المصطلح هو دومينيك وولتن Dominique Wolton, فهو يري أنه بإمكان الفرد أن يكون مستعملاً ممتاز للإنترنت, لكن لديه أكبر صعوبات في أن يدخل في حوار مع من بجانبه

Dominique Wolton: penser la communication:
http://www.wolton.cnrs.fr/spip?article32